آدم عبد الله الإلوري
مؤسس مركز التعليم العربي الإسلامي
أجيجي - نيجيريا

أساليب الدعوة في اليهودية - المسيحية - الإسلام

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

توجيه سيرة الدعوة

أما بعد فيا معشر الدعاة إلى الله .

اعلموا أنه ليس المقصود من هذه الدورة أن ننقلكم من ميدان العمل إلى ميدان القول بل المقصود أن نثبت أقدامكم في ميدان العمل التطبيقي لما قد سبق أن درستموه درسًا عابرًا في دراساتكم الجامعية أو تجاربكم العملية في مجال الدعوة . المقصود أن نوجهكم إلى بعض مواقف حيوية ونقاط حساسة في مجال الدعوة مما يجب أن تركزوا عليها دراساتكم الخاصة لتطبقوها في مجال عملكم حسب الإمكان والله الموفق للصواب ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ .

أما عنوان محاضرتي : فهو الإسلام والأديان السماوية وتوجيه سيرة الدعوة على ضوء أساليبها المستقيمة .

فيجب أن نبدأ أولاً بتمهيد الطريق ليكون الوصول إلى المقصود سهلاً ميسوراً ويكون التمهيد بكشف النقاب عن العقبات التي تعترض طريق الدعوة والداعية في الصميم .

ويمكن حصر تلك العقبات في أمرين اثنين هما :

أولاً : الانحراف بالدين عن جادته المستقيمة ، إما بالبدع أو بالوضع .

ثانيًا : الإلحاد في الدين إطلاقًا . إما بالثورة على التدين أو بالتمرد على الله .

وعندي أن أصل الأمرين هو فساد مفهوم الدين عند الناس المتدينين وغير المتدينين ، وهذا المفهوم هو المحور الذي تدور عليه روح التدين الصحيح والفاسد وعدم التدين إطلاقًا وعلى ذلك نعلم أن أمراض الأديان كلها تنشأ من فساد مفهوم الدين كما أن علاج هذه الأمراض في إصلاح مفهوم الدين ، ومن هنا يجب أن نبدأ في تدريب أنفسنا على الدعوة ويمكن للداعية أن يتعرف على هذه الأمراض وعلاجها في استعراضه لتاريخ الأديان السماوية وما تعرضت له من الانحرافات ، كما عليه أن يلم بتاريخ الأديان الوضعية وما احتوت عليه من الخزعبلات ، ثم عليه أن يلم بنظريات الملحدين وما اشتملت عليه من الافتراضات ، فبذلك يتسنى له أن يدعو إلى الدين بإصلاح مفهوم الدين في نفوس الناس ، على أن القرآن الكريم هو الذي وضع أسس هذا الموضوع تحت عنوان قصص الأنبياء وما ينتمي إلى ذلك من طرق الوحي وتبليغ الرسالات إلى الأمم .

ثم قد اهتم علماء الإسلام بالموضوع اهتمامًا بالغًا وألفوا فيه كتبًا قيمة منها الخاص بالمذاهب في الإسلام ومنها العام في سائر الملل والأديان .

فمن الأول مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى ٣٣٠هـ .

ومنه الفرق بين الفرق للشيخ عبد القادر البغدادي المتوفى ٤٢١هـ .

ومنه كتاب الاعتصام للشاطبي .

ومن الثاني المِلَل والنِّحل للإمام الظاهري ابن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦هـ .

وكذلك المِلل والنِّحل للإمام عبد الكريم الشهرستاني المتوفى ٥٤٨هـ .

وقد اهتم الإمامان الجليلان في كتابيهما بالأديان السماوية وأشباهها ، كما تعرضا لمذاهب الفلاسفة واقتباس بعضهم من مشكاة النبوة ، فبذلك كان العلماء المسلمون أول من درسوا الأديان المقارنة أو فلسفة الأديان أو تاريخ الأديان ـ حسبما سميت حديثًا بعد ظهور العلم في أوربا وبعد الثورة الفكرية الهدامة التي قادها الفيلسوف الإنكليزي المسمى داروين في القرن التاسع عشر الميلادي والتي بنت مبادئها الأساسية على نظرية تطور الإنسان من القرد ، والتي أنكرت ما قررته الكتب السماوية وأشباهها أن آدم أبا البشر هو أول إنسان خلقه على صورته الكاملة ـ المستوية كما

قال القرآن ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ وكما في الحديث «خلق الله آدم على صورته» أي على صورة آدم الأصلية المستقلة لم تتدرج من طور إلى طور كما يقولون ، وإذا دلت الحفريات على أشكال مختلفة للإنسان إنما يرجع ذلك إلى آثار مناطق الأراضي الباقية حتى اليوم .

وشر ما حدث أن أكثر العلماء اليوم أخذوا بمذهب داروين وطبقوه على كثير من الأشياء ، فتسرب منه الشك إلى النفوس في صحة ما يقول الدين وما تقوله الكتب السماوية في نشأة الإنسان .

يقول الدكتور أحمد أمين[1] (لقد توسع كثير من العلماء في تطبيق هذا المذهب على كثير من الأشياء فطبقوه على النظم ـ الاجتماعية وعلى أشكال الحكومات وعلى كثير من فروع العلم وعلى الفلسفة والدين) .

فدراسة الأديان عند علماء أوربا وأمريكا تقوم على نظرية داروين التطورية ـ وأصل العقيدة الدينية عندهم إنسانية وضعية ليست سماوية ولا ربانية لا يؤمنون بالوحي ولا بالنبوة وإنما يفترضون افتراضات في نشأة التدين ، كما افترضوا في نشأة الإنسان فمن قائل إن الأساطير هي أصل الأديان ، ومن قائل إن رؤية الموتى في الأحلام وإخبارهم ببعض الأشياء هو الأصل في عبادة القبور وعبادة تماثيل الأصنام .

---

(١) في كتابه «علم الأخلاق» ص ١٢٦

وآخرون يقولون إن تأثير السحر والاعتقاد بالقوة التي يستعين بها السحرة هو أصل اعتقادهم بالقوة وهو أيضًا أصل التدين .

وأن أديان الشرك والوثنية سابقة للتوحيد والاعتقاد بالله وعبادته ثم ذهبوا إلى ما هو أشنع من ذلك وقالوا إن الإنسان يمكن يوما ما أن يستغنى عن الذين يعتقد به في العلم والكشف والاختراع ، حيث يكون سوبرمان أي الإنسان العالى .

فهذه النظرية التطورية هي السائدة اليوم في سائر المجتمعات وهي المسيطرة على أفكار الباحثين في تاريخ الأديان في كل مكان .

لذلك يجب على الداعية المعاصر أن يهتم بهذا الموضوع وينفق سعته العلمية في إبطال هذه النظرية وسحقها في الأذهان ثم بناء الحقيقة الصحيحة مكانها .

قلنا إن العلمانيين قالوا بتطور الدين وظلوا ينتظرون زوال سلطان الدين في النفوس .

هل صحيح ما يقولون بأن الدين تطور كما تطورت الصناعات والعلوم والسياسة .

الجواب على التحقيق العلمي بالذات : وذلك لأن التدين غريزة من الغرائز التي امتاز بها الإنسان عن سائر الحيوان والغرائز كلها لا تطور فيها ولا نشوء فيها ولا ارتقاء وإنما تختلف في النفوس قوة وضعفا حسب الأعمال والإهمال .

ثم هل صحيح ما يقولون بأن الدين سوف يفقد سلطانه كليا مع تقدم العلم والمدنية .

الجواب أيضًا لا : لأن المحققين قرروا بأن هذه الفطرة ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد هذه الفطرة مع علو مدارك الإنسان ومعارفه قاله فريد وجدي في دائرة المعارف .

ولقد سبق القرآن الكريم إلى إثبات هذين القرارين العلميين في آية كريمة تقول : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم:٣٠) .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

بذلك كله ثبت أن التدين فطرة إنسانية منذ البداية ، وإنما جاء الوحي لتوجيه هذه الفطرة إلى الوجهة السليمة .

أما الانحراف أو الإشراك بالله في العبادة إنما هو طارئ على التدين لتقادم الأزمان أو تلاعب الشيطان .

ولإعادة الدين إلى نصابه كان توالي نزول الوحي على الأنبياء باستمرار حتى وقت إغلاق باب الوحي عند كمال العقل البشري وتمام حصر جميع الرسالات السماوية في دائرة واحدة متكاملة ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ**

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:٢١٣).

إن الاعتقاد بوجود الخالق المدبر لهذا الكون والاعتراف له بالعبودية ـ والافتقار إليه عند الضرورة حقيقة كامنة في النفس البشرية العقلاء منهم والبسطاء كما قال الأعرابي أن البعرة تدل على البعير وأن آثار الأقدام تدل على المسير وأن الكون العظيم يدل على الخالق القدير وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ .

الدليل العقلي لنزول الوحي من السماء : قلنا إن التدين غريزة وفطرة إذا كان التدين فطرة وكان غريزة ، فلماذا يحتاج البشر فيه إلى الوحي ولا يتركه للعقل كسائر الغرائز يختار منها الفضائل وينبذ الرذائل؟ كما تقول البراهمة في الهند وغيرهم ممن يسمون عقليين أو عقلانيين أو علمنيين في الاصطلاح الحديث .

وللإجابة على هذا نقول :

لما كان العقل البشري قاصراً جداً عن إدراك الحقائق الغيبية التي لا تدرك بالحس والتجربة أحتاج إلى وحي السماء في إدراك تلك الحقائق وهي الغيب وما وراء الموت من بعث وجزاء ثم إن

العقل البشري قاصر جدًّا في التغلب على عاطفة الحب والبغض والشهوة ولهذا احتاج إلى مذكر من السماء .

ثم إن الإنسان في كل حال من الأحوال لا يستغنى عن مدد السماء .

ومن السماء يأتيه رزقه من ماء وهواء قال تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ثم قال أيضًا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ .

فكيف يسوغ للعقل الدروينى والفكر الإلحادي أن يتصور أن الذي خلق الخلق وهداه إلى أسباب معيشته وحياته الدنيوية أن يتركه ولا يرشده إلى أسباب سعادته الأخروية ؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨) .

ونعود إلى تحقيق مدلول كلمة الدين ومفهومه عند مختلف الناس قبل أن ـ نعود إلى الحديث عن الوحي وطرقه فنقول :

ما معنى الدين ؟

قلنا آنفًا إن تصحيح مفهوم الدين هو الخطوة الأولى من خطوات الدعوة إلى الله لهذا يجب على الداعية أن يحيط علما بمفاهيم الدين عند مختلف أصحاب الأديان السماوية .

نقول أولاً : الدين عندنا نحن المسلمين ما شرعه الله للناس من عبادات ومعاملات وأحكام ، وعند غيرنا من ذوي الأديان وذوي النظريات ما يقدمه الإنسان لربه أو معبوده من طقوس ورسوم وصلوات وعبادات ذلك لنفصل بيان ذلك عند كل هؤلاء .

نحدد أولاً معنى الدين عند أهل الإسلام ونقول :

لقد أطلق القرآن كلمة الدين على الصحيح من الأديان وعلى الباطل منها ـ بدليل قوله تعالى للكافرين ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥). وقوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج:٧٨) وقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣).

لقد قسم علماء الإسلام جميع الأديان إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الأديان السماوية .

الثاني : أشباه الأديان السماوية .

الثالث : الأديان الوضعية .

وأوضح الشهرستاني أن الدين ينقسم إلى ثلاثة وقال :

ما كان مستفاداً من الأنبياء المبلغين عن الله سمى ملة .

وما تفرغ امتداداً منها ولكنه انحرف إلى الهوى سمى بدعة .

وما اخترعه الناس اختراعًا ووضعوه بأنفسهم وضعًا سمى نحلة.

وعند الجرجاني في التعريفات إلى أربعة حيث قال : إن الدين ما ينسب إلى الله وأن الملة ما ينسب إلى رسول الله .

وأن المذاهب ما ينسب إلى مجتهد في الفروع وأن البدعة ما ينسب إلى صاحب الهوى .

وأجمع علماء الإسلام على أن الله لم يعط أحداً حق التشريع في الحكم والدين ولا حق الاجتهاد مع وجود النص لهذا قال تعالى :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وقال حكاية عن سيدنا يوسف ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٤٠) .

قال الشيخ عبد الله بن فودي في كتابه ضوء المصلي :

والله لا يعبد بالعقول بل دينه بشرعه المنقول

وفي ضوء تقسيم المسلمين للأديان يستطيع الإنسان أن يعرف الفرق بين الدين الصحيح والدين الفاسد .

وهذا الفرق هو المفقود في الكلمات الدالة على الدين عند جميع من عرفوا الدين من اليهود والنصارى وغيرهم حتى تسرب الخطأ إلى بعض المسلمين أيضًا في إطلاق عنان معنى الدين على كل ما يتقرب به الإنسان إلى الله سواء كان مشروعًا أو غير مشروع .

والخلاصة في تحديد معنى الدين عند المسلمين أن نقول الدين لغة : الطاعة والانقياد .

واصطلاحًا : ما شرعه الله للناس بواسطة الأنبياء من اعتقادات ، وعبادات ومعاملات وحكومات .

وأحدث أسلوب علمي آخر هو ما ذكره الدكتور دراز الأزهري[1] أن الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات وإلى كل صلاح في الحال والفلاح في المآل .

الدين عند اليهود :

لم أقف أنا بعد على المراجع الدينية التي يمكن للباحث أن يعتمد عليها في معرفة الأبحاث اليهودية لديانتهم غير التوراة وشروحها المسماة بالتلمود .

---

(١) في كتابه الدين ص ٢٩ .

وقد خلت التوراة الحاضرة عن شعائر الدين غير ما بقي فيها من الوصايا العشر والمحرمات والقرابين والأضاحي التي يقربها اليهود إلى الله .

ولا يتدين اليهود بشيء غير القرابين أو الاهتمام بالفتوحات لما فيها من الغنائم واستعباد شعوب الأرز واحتكار التجارات واستغلال خامات الأرض واستحلال دماء وأموال غير اليهود ويقولون كما قال القرآن ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ والديانة اليهودية عنصرية مقصورة على بني إسرائيل لذلك يحتكرون التوراة على اليهود دون غيرهم وعلى ضوء هذه الحقائق المقررة يمكن تحديد معنى التدين عند اليهود بأنه :

مجموعة الأناشيد التي تقال كالصلوات والقرابين التي تقرب كعبادات والوصايا والوعود التي تحفظ وترتل كالتشريعات التي كتبت خاصة لبني إسرائيل ، (شعب الله المختار كما في زعمهم) .

ثم الجمعيات السرية التي تنظم بمختلف الأسماء لإملاء البرتوكولات التي تنفذ بشتى الوسائل لإعادة مجد إسرائيل وإعادة هيكل سليمان في الأرض المقدسة .

فهذه هي خلاصة ما يعرفه الباحث عن الديانة اليهودية فأين الصبغة الإلهية منها والطابع السماوي والإخاء الإنساني من هذه الديانة .

معنى الدين عند النصارى

لقد تأثر علماء النصارى إلى حد كبير في تعريف الدين عندهم بالتعريفات الإسلامية كما تأثروا أيضًا بالتعريفات الفلسفية الحديثة يظهر ذلك لمن يطلع على كتبهم وأقربهم إلى الصواب حسبما نقله الدكتور دراز عن الأب شاتل أحد علماءهم يقول الدين مجموعة واجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه .

ولقد تجردت الواجبات في هذا التعريف عن الأوامر الإلهية لذلك يجيز النصارى أن يتدينوا بكل ما يرونه من عندهم واجبًا نحو الله ونحو الجماعة ونحو الأنفس ولايلتزمون بما أوجب الله عليهم ولهذا يعقدون المجامع لإصدار أحكام دينية كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

وهو تعريف قريب جدًّا من تعريف البدعة والنحلة عند المسلمين وقريب أيضًا من وصل القرآن لهم حيث قال تعالى : ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** ﴾ .

معنى الدين عند فلاسفة الأديان

لقد قدم باحثو الأديان تعريفات متنوعة للدين غير أن أكثرها مجرد عن الصبغة الإلهية ويمكن حصر جميع تعريفاتهم في حدود أقسام النظريات الهامة حول الدراسات الدينية ، يقول تايلور:

إن الدين هو الإيمان بكائنات روحية (فسميت نظريته روحية) وذلك لأنه زعيم من يقول بأن أصل التدين هو الاعتقاد بقوة أرواح الموتى لإعانة الأحياء أو بعودتهم إلى الحياة كعقيدة قدماء المصريين وعقيدة التناسخ في الهند ، ويقول ماكس موللر الألماني المتوفى ١٩٠٠م في تعريف الدين عنده :

(إن الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه والتطلع إلى الله) وكأنما يريد موللر وصف الجذب الصوفي بتعريفه هذا وهو يزعم أن الباعث إلى التدين هو الخوف من غضب الطبيعة كالشمس والرعد والبرق وسميت هذه بالنظرية الطبيعية .

وآخرهم دوركايم الفرنسي المتوفى ١٩١٧م والذي يقول في تعريف الدين بقوله (إن الدين مجموعة أشياء متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالأشياء المقدسة بحيث تولف هذه المجموعة في وحدة متصلة لكل من يؤمن بها).

ودوركايم هذا هو الذي يزعم بأن المجتمع هو الذي دفع بالإنسان إلى أن يتخذ إلهًا خاصًّا به يرجو منه الخير وأن كل قبيلة كانت تعتقد أنها تنحدر أو تمت بصلة القرابة إلى شيء معين من حيوان أو جماد أو نبات وأن هذا الشيء يحفظه أو يحفظ القبيلة من كل سوء ويجلب له كل خير وسموا هذه الآلهة بالطوطم وجعلوها ثلاثة طوطم القبيلة وطوطم الجنس من رجال ونساء وطوطم الفرد الخاص .

يلاحظ الباحث أن هذه النظريات كلها قد جردت الديانة من الطابع الإلهي وجعلتها وضعًا إنسانيًّا بحتًا .

وبذلك أنكروا الوحي والنبوة والأنبياء .

وليس الأنبياء عند هؤلاء القوم غير زعماء مصلحين للأوضاع الفاسدة بزمانهم أو كان لهم نبوغ فكري وبراعة عقلية سادوا بها قومهم في زمانهم .

وتوسلوا إلى هذه الزعامة باسم الدين أيام كان للأديان سيطرة على النفوس . وليست الشرائع السماوية عند هؤلاء غير قوانين سنها أولئك الزعماء وصبغوها بصبغة الوحي ليخضع لها الناس .

وبذلك ظلوا ينتظرون يوم يأتي الزمان باسقا سيطرة الأديان من النفوس تماما وظلوا كذلك يستهينون بالدعوة إلى الله ويعرفون الدين على نحو ما يدعو الناس إلى نبذه وبغضه .

يقول أحدهم وهو سالومون رياك الفرنسي :

إن الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة للتصرفات الإنسانية .

هذه هي نماذج من فساد تصور مفهوم الدين في أذهان اليهود والنصارى وفلاسفة الأديان .

ومن هنا يظهر جليًّا للعاقل منشأ الإلحاد الذي بدأ صغيرًا كالشرر ولم يزل يتفاقم أمره ويتسع خرقه على الواقع .

لذلك قلنا في بداية محاضرتنا أن أصل الفساد في المفهوم كما أن أصل الصلاح في المفهوم فإن مدلول كلمة الدين عند المسلمين ومفهومه وتطبيق حقيقة هذا المفهوم على واقع الدين عندهم .

ثم إرشاد الناس جميعًا إلى هذه الحقيقة وهذا التطبيق هو غاية الداعية وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ .

العقل والوحي والنبوة والأنبياء

إن الإسلام دين العدل والإنصاف يعطي كل ذي حق حقه بالقسطاس المستقيم ، لهذا أنوه بشرف العقل وفضله في كثير من الآيات ، وحقق أن العقل هو الميزة التي امتاز بها الإنسان عن سائر الحيوان وبه فضله الله على الكائنات قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٧٠).

وجاء في الحديث عن النبي أنه قال :

« أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب» .

ومهما يكن أمر من نقد النقاد في إسناد هذا الحديث إلى رسول الله فإن همته ومعناه صحيح يتفق مع عدة آيات من القرآن الكريم منها :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

ولكن غاية العقل أن يستدل بالمحسوسات على المجهولات وكل ما لا دليل عليه من المحسوسات فلا يدركه العقل .

ثم كان العقل مما يخطئ ويصيب وكان مما يختلف قدراً ووزنًا في الأشخاص ثم كانت العواطف تغلب عليه .

لذلك كله لم يجعل الله له سلطانًا على ما وراء المادة وما وراء الشهادة وإنما جعل الوحي سبيلاً إلى إدراك ذلك كله .

واصطفى من عباده ذوي العقول الكبيرة المستنيرة لتحمل الوحي وسماهم أنبياء ورسلاً .

ومن الدليل على أن الوحي هو وحده الطريق إلى عالم الغيب وما وراء الشهادة ، هو الرؤيا التي يراها كل إنسان في المنام من غير أن يطلب هذه الرؤيا ولا ينويها ثم يراها على عكس ما يتوقع في اليقظة دون أن يكون لهذه الرؤيا دليل سابق في عالم الشهادة واليقظة .

وقد وقعت أمثال هذه الرؤيا لكثير من الزعماء والأمراء والملوك من الفراعنة والأكاسرة والقياصرة كما هو واضح في تواريخهم ..

وكما وقع لسيدنا يعقوب مع بنيه يوسف والأسباط .

وجاء في الحديث عن بدء الوحي لسيدنا محمد ﷺ ما نصه «أول ما بدئ به النبي من الوحي الرؤيا الصالحة أو الرؤيا الواضحة».

ثانيها : الوحي بطريق الإلهام وهو إلقاء الحديث في النفس في حالة اليقظة على وجه يشعر به صاحب النفس أنه من الله تعالى ، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال « إن روح القدس نفث في روعي» أي قلبي والإلهام كالرؤيا ولا يقتصر على الأنبياء وحدهم بل يشاركهم فيه غيرهم من الناس حتى الحيوان وبذلك فسر الوحي الوارد في القرآن على غير الأنبياء من الناس كالوحي إلى أم موسى في قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ** ﴾ . وكالوحي إلى النحل في قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ** ﴾ . ولكن الفرق بين الإلهام الواقع في صدور الأنبياء والواقع في صدور الناس أن الأول يكون آخذًا بجامع قلب الملهم مقرونًا باليقين أنه من الله تعالى ومصحوبًا بالرعب الشديد كما يشعر الجندي بالأوامر العسكرية الملقاة عليه من الضابط .

أما الثاني : الواقع في صدور سائر الناس فإنما يكون كالعارض الخفيف الذي لا يستقر ولا يصحبه اليقين .

وثالثتها : أن يكون الوحي بطريق سماع الكلام دون أن يرى المتكلم فيسمع الكلام واضحًا في تمام الشعور والانتباه واليقظة كما وقع لسيدنا موسى عليه السلام إذ نودي من تحت الشجرة في البقعة المباركة بالوادى المقدس .

رابعتها : أن يكون الوحي بواسطة الملك يأتي في صورة إنسان فيكلم النبي بالكلام الإنساني كما وقع لكثير من الأنبياء .

وقع ذلك لسيدنا إبراهيم مع ضيفه من الملائكة المرسلين إلى قوم لوط ووقع كذلك لسيدنا محمد ﷺ حيث كان يأتيه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي .

وخامستها : وهي أشدها على الأنبياء أن يأتي الوحي بواسطة الملك في صورته الملكية (الملايكتية) فيكلم النبي بالكلام النفساني (بالكلام الإنساني) وهو الكلام النفساني ؟

الكلام النفساني هو حديث النفس الذي يحاور به الإنسان نفسه في داخل قلبه ولا يشعر به غيره .

وإذا شاء الله انتقال هذا الكلام من نفس المتكلم إلى نفس غيره كشف عن قلب الاثنين الحجاب وفهم قلباهما هذا الكلام من حركة اللسان والشفتان ويفهم انتقال الكلام النفساني هذا من لغة البهائم والدواب على ما تتفاهم بها فيما بينها وللبهائم والدواب لغتان لغة التفاهم ولغة الشعور .

أما لغة الشعور فهي الأصوات التي تدل على الحزن والفرح واللذة والألم كما في منطق الطير الذي علمه الله النبي سليمان بغير تعلم .

ويعلم كلنا هذا المنطق بالتجربة والحدس .

أما لغة التفاهم فهي ما يدل على طلب التعاون فيما بينهم على دفع العدوان المصالح العامة مثل لغة النمل التي قالت : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ** ﴾ .

إن الكلام النفساني هذا هو جوهر الكلام وعينه دون الكلام الإنساني .

يقول أحد المحققين :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وإذا أتى الوحي إلى النبي من الملك بهذه الطريقة تلقاه النبي منه بفؤاده وإليه يشير القرآن ﴿ **مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ** ﴾ ، بحيث يظهر أثر ذلك عليه فيعلم من يراه أنه في غير حالة معتادة .

وقد وصفها النبي بأنها مثل صلصلة الجرس .

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها وهي تصف هذه الحالة وتقول : إن رسول الله ليتفصد جبينه عرقًا في اليوم الشديد البرد حينما ينزل عليه الوحي . ذلك لأن النبي في هذه الحالة ينسلخ من الحالة البشرية إلى جزء قليل من الحالة الملكية في لمحة

خاطفة من اللمحات ليحصل له فيها شهود الملأ الأعلى من غير النوم ليسمع الخطاب الرباني عن طريق الكلام النفساني من الملك جبريل .

والآية الكريمة تشمل أهم طرق الوحي وتقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى:٥١).

تبـــارك الله مـــا وحـــي بـــــمكتسب

ولا نـــبي علـــى غيـــب بـــــمتهم

أيها الأخوة :

هذا هو الوحي وهذه هي النبوة والإنسان ينزل عليه هذا الوحي هو النبي . وإذا سأل سائل هل تصح الرؤيا من الكفار كما تصح من المسلمين ؟ الجواب نعم تصح .

فإن العلماء قد حققوا ذلك ومنهم ابن خلدون في المقدمة حقق الرؤيا بأن النفس البشرية متصلة بعالم الأرواح من حيث هبطت الروح إلى الأرض حتى اتصلت بالجسد .

فعالم الأرواح بهذا موطنها الأصلي الذي نزحت منه إلى هذا العالم ولا تزال تحن وتتصل إلى ذلك الأصل .

ويتمكن من الاتصال تمامًا في حالة النوم بينما تكف الحواس الخمس في العمل تنحصر جميع قوى النفس في الروح فتستطيع الروح في هذه الفترة أن تتصل بالملأ الأعلى حيث تتطلع على

الأشياء الواقعات المرسومة في عالم الغيب قبل وقوعها في عالم الشهادة فترى النفس تلك الأشياء بالوضوح أو بالمثال ثم ينتبه النائم من نومه وقد انطبع ذهنه بصورة تلك الأشياء مما قد يحتاج إلى التفسير والتأويل أو مما لا يحتاج .

ولقد ترك الله هذه الرؤيا في النفس البشرية وأبقاها في الناس عمومًا مؤمنيهم وكافريهم ليستدلوا بها على أن عالم الغيب أقوى من عالم الشهادة ثم ليستدلوا بها على إمكان نزول الوحي إلى من اصطفاهم الله من خيار خلقه .

وعلاوة على ذلك جعل الله الرؤيا أول مراتب الوحي يستأنس الموحى إليه بهذه الرؤيا إلى الاطمئنان بما سيستقبله من طرق الوحي الأخرى الباقية .

ولا جرم أن يصفها النبي ﷺ فيما رواه البخاري : «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما هي يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له».

ولقد عرف العلماء الوحي بتعريفات متعددة ويمكن حصرها فيما يلي : ونقول الوحي إعلام سريع في خفاء يأتي من الله تعالى إلى نبي من الأنبياء بواسطة أو بغير واسطة .

وللوحي طرق كثيرة ومراتب متدرجة أولها :

أولاً : الرؤيا ـ كانت الرؤيا أول مراتب الوحي وبدئ كثير من الأنبياء بالرؤيا قبل نزول الملك عليهم كما وقع لسيدنا إبراهيم مع

ولده إسماعيل حيث قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ .

فأين الفلاسفة العقلانيون من هذه الموهبة العظيمة ؟

فأين للعلماء التجريبين تذوق هذا الوصف .

وكل ذلك ليس إلا قليل من كثير من أوصاف أحوال الوحي والنبوة والأنبياء مما يدل على ذلك كله ليس بالأمر السهل الميسور الذي يتسنى لكل إنسان أن يتمناه ويتكلفه .

لهذا لا يمكن لأحد من الناس أن يقف على قدم المساواة مع أنبياء الله في مكانتهم ومقاماتهم وأحوالهم فليس لغير الأنبياء إذن تلقى الوحي من الله وكما ليس لهم حق التشريع في دين الله وحكم الله .

النبي والأنبياء

إن التعريف المشهور بين العلماء المسلمين للنبي لمن يقولوا : النبي إنسان أوحى الله إليه بشرع أو بشيء يعمل به في خاصة نفسه ولم يؤمر بتبليغه للناس وربما لا يمتنع أن يقتدي به غيره من أهله وذويه .

أما الرسول فهو النبي الذي أوحى الله إليه بشريعة أو عبادة وأمر بتبليغه لغيره .

فبعبارة أخرى ، الرسول هو من أنزل الله عليه كتابًا أو شريعة ليعلم قومه أحكام الله وشريعته من هذا الكتاب .

وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ، والفرق بينهما العموم والخصوص واعترض بعض العلماء على هذا التعريف وقال :

ما من نبي إلا وقد تلا على قومه ما أوحى الله إليه واستدل على هذا بقوله : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾ (الحج:٥٢) .

كما استدل على ذلك بأن الله أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموه للناس وعاب الذين كتموه من بني إسرائيل بقوله :

﴿ **وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ** ﴾ .

ونحن نقول في الرد على هذه الاعتراضات ما يأتي :

أولاً : أن ما استدلوا به من الآية الأولى لم تكن دلالة قطعية وإنما هي ظنية فكلمة تمنى تحتمل معنيين أولهما أراد وثانيهما قرأ وتلا فلا يحق حمل أحد المعنيين على الكلمة دون الآخر .

على أن المعنى المتبادر هو الإرادة لا التلاوة .

ثانيًا : أن الله تعالى لم يؤت كل النبيين الكتاب بل آتى بعضهم فلا تنطبق على الجميع معنى قرأ وتلا .

ثالثًا : أما الآية الثانية في أخذ الله الميثاق من الذين أتوا الكتاب فلا تنطبق على الأنبياء أنفسهم بل تنطبق على ورثتهم بدليل ما جاء بعد ذلك في الآية من جملة ﴿ **فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا** ﴾ (آل عمران:١٨٧) .

فبهذا بطل الإعراض وبقي التعريف المشهور كما هو .

أما إطلاق كلمة النبي على الرسول وغير الرسول فمن باب إطلاق العام على الخاص كإطلاق الجندي على ذوي الرتب العالية وعلى غيرهم .

لذلك كان إطلاق النبي على سيدنا محمد أكثر من إطلاق الرسول عليه مع أنه أفضل الخمسة الذين هم أولوا العزم من الرسل وهؤلاء أفضل العشرين الباقين ، وهم أيضًا أفضل سائر الرسل وسائر الرسل أفضل الأنبياء .

النبوة الإلهية غير محدودة في منطقة واحدة .

يذهب بعض منكري النبوة إلى السؤال التالي :

إن كانت النبوة لهداية البشر لماذا كانت محدودة في مناطق معينة من الأرض ، فإنها محدودة فيما بين البحر الأحمر وما بين دجلة والفرات دون غيرها من أنحاء العالم المتحضر في الدنيا القديمة .

قالوا إن هذه الدعوى لا توجد في اليونان والرومان والهند واليابان والصين ، وإنما يوجد فيها الفلاسفة والحكماء .

فالإجابة على هذا نقول :

إن للثورات وما لحق بها مما يطلق عليه كلمة (العهد القديم ، والإنجيل ومجموع ما بعده بعنوان العهد الجديد هما المرجع الوحيد اليوم في معرفة أخبار الأنبياء السابقين لسيدنا محمد ﷺ).

ولعل الكتابين عند التحريف والتغيير قد ضيعا جملة كبيرة يمكن أن نعرفهم من أنبياء الأمم الأخرى المجاورين للعبرانيين والعرب والمصريين .

ولكن القرآن الكريم عوضنا كل ما فات مما يجب أن نعرف من الأنبياء وقرر أن الله تعالى بعث ﴿ **فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ (النحل:٣٦) ﴿ **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ** ﴾ (المؤمنون:٤٤) .

ثم أخبرنا القرآن بأنباء بعض الأنبياء الذين لم تتعرض التوراة لذكرهم مثل هود وصالح وشعيب ولقمان وذي القرنين والخضر وغيرهم .

نبوة النساء

تكلم بعض الباحثين عن النبوة بأن الإسلام لم يعترف بنبوة النساء كما اعترف بها أهل التوراة والإنجيل حيث ذكروا نبيات عديدة في الكتابيين وأخذوا ذلك على الإسلام أنه من علامات الحط من قيمة المرأة .

ومن أجل الرد على هذا نقول :

حقًّا اختلف العلماء في جواز نبوة النساء وعدم نبوتهن وقال صاحب بدء الأمالي :

ومـــا كانـــت نبيـــا قـــط أنثـــى
ولا عبـــــدا وشخصـــــا ذا فعـــــال

وحقق بعضهم نبوة النساء ومنهم العلامة ابن حزم الأندلسي حيث قال في المِلل والنِّحل : إن الذين نفوا نبوة النساء لم يعتمدوا على شيء غير قوله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيَ إِلَيْهِم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ﴾ .

ثم قال إنها لا تسقط النبوة عن النساء وإنما تسقط الرسالة فقرر بذلك نبوة أم موسى ومريم أم عيسى .

واستدل على ذلك بالحديث المروي عن النبي أنه قال : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران » وإذا رجعنا إلى قاعدة الفرق بين النبوة والرسالة لم نستبعد القول لنبوة النساء دون رسالتهن .

عدد الأنبياء :

يذهب بعض العلماء إلى تحديد الأنبياء والمرسلين في عدد معين ويمتنع البعض عن ذلك أما الذين ذمروا العدد فقد اعتمدوا على ما رواه الطبراني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا قلت كم المرسلون منهم ، قال ثلاثمائة وثلاثة عشر .

وهناك روايات أخرى ربما زادت على هذا العدد أو نقصت .

والآخرون يقولون لا يعلم عددهم إلا الله بدليل قوله:﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾. وبقوله ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

فلا يجب علينا البحث في معرفتهم إذ لا نتمكن من ذلك حتى ولو بحثنا وإنما يجب علينا أن نؤمن بأنهم كثيرون ، وأنهم مع كثرتهم أتوا من عند الله ولم يختلفوا في جوهر رسالتهم كما كان يختلف أصحاب النظريات والفلاسفة ، ولهذا جاء الإسلام بنظمهم في سلك واحد وجعل الإيمان بهم جميعًا مقرونًا بالإيمان بالله وقال : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٨٥) .

إغلاق باب الوحي وختم النبوة

إذا سأل سائل لماذا نقول بأن الله قد أغلق باب الوحي وختم النبوة مع أن الناس لا يزالون على الأخلاق الرذيلة التي بعث من أجلها الرسل الأولون .

نقول : إن المفروض أن يبعث الله رسولاً واحدًا إلى الناس كافة كما كان يرسل الملك الواحد الذي هو جبريل إلى سائر الأنبياء . ولكن اختلاف الأديان والأجناس والأحوال هو الذي اقتضى تعدد الرسل ، ولما بلغ العقل البشري كماله وفهم معنى الإخاء الإنساني والوحدة البشرية ، ختم الله النبوة والرسالة بمحمد ﷺ ،

يقول الإمام محمد عبده[1] تحت عنوان ترقي الأديان بترقي الإنسان ما نصه .

جاءت الأديان والإنسان في طور الطفولة ولم ينفث في روعه بعد ما يعطفه على بني جنسه بل كان يحرص على ما يقيم بناء شخصه فلم يكن من حكمة الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف الوجدان بل كان من عظيم الرحمة أن يسير بهم من سذاجة السن لا يأتيهم إلا من قبل ما يحسونه بسمعهم وبصرهم وجاءت من الآيات ما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها أقوام وارتفعت فجاء الدين يخاطب القلوب فشرع للناس من الشرائع ما يوجههم نحو الملكوت الأعلى ولما كانت سن الاجتماع البشري قد بلغت بالإنسان أشده وأعادته الحوادث إلى رشده ، جاء الإسلام يخاطب العقل . اهـ كلامه .

قلت هل المتطلع على تاريخ الأديان السماوية والنبوة السابقة لا يتردد في القول بأن نبوة سيدنا محمد أرقى جميع النبوات السابقة وأن الناظر في الرسالات الماضية لا يشك في أن رسالة سيدنا محمد أكمل جميع الرسالات .

وأن القارئ للكتب السابقة السماوية لا ينكر أن القرآن أجمع الكتب وأشملها وأكملها علمًا وحكمة ونظامًا وقيما ومثلا .

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٦٦ وما بعدها بتصرف .

لأن رسالات الرسل كانت خاصة بأمم خاصة حيث يقول القرآن : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ ، (إنا أرسلنا موسى إلى فرعون وملائه وأرسلنا عيسى إلى بني إسرائيل) .

أما رسالة سيدنا محمد فكانت كافة للناس بشيراً ونذيراً بقوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

لم يتعهد الله بحفظ الكتب السابقة لأنها كانت خاصة بأمم وليست عامة للبشر أما القرآن فإنه عام للعالم أجمع تعهد الله بحفظه بقوله : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

ولقد أنجز الله وعده فبقي هذا القرآن عربيًّا مبينًا منذ أربعة عشر قرنًا حقًّا . إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فمن أجل توافر هذه الكلمات في رسالة سيدنا محمد ، وفي كتابه وفي نبوته وفي دينه جمع الإسلام أخبار الأمم الماضية وأنبيائهم وجمع القرآن شرائع الأمم الماضية وصحح القرآن أخطاء الكتب السابقة وأكمل بشريعته من نقص من الشرائع السابقة .

ولما تم ذلك كله قال : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ .

وقال في ختم النبوة ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية من زوايا البيت فجعل الناس يطوفون بالبيت ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » .

مدعو النبوة

لقد صحب ركب النبوة عددا من الأدعياء الذين ينتحلون هذه الدعوة كذبًا وافتراء ، وفي آخر أيام النبي ظهر مسليمة الكذاب يحمل هذه الدعوى حتى كان ما كان من أمره ولا يزال من يدعيها حتى اليوم .

ولا شك أن كل من يدعي هذه الدعوى لا يخلو من أن يكون أحد رجلين . إما رجل حصل له خلل في عقله ، وإما رجل سليم العقل ولكنه اخترع حيلة يخدع بها الناس ولم يجد لذلك سبيلاً إلا في دعوى النبوة فلا نطيل بذكرهم .

ويلحق لدعوى النبوة دعوى المهدوية التي مني الإسلام بها من يوم أن سمعوا حديثًا في ظهور المهدي المنتظر من أهل البيت فلم يمض القرن الأول الهجري حتى تسارع الناس إلى ذلك وقد بلغوا حتى الآن نحو عشرة مما جعل المحققين ومنهم ابن خلدون ينتقدون جميع الأحاديث الواردة في أمر المهدي وينسبونها إلى الشيعة ها هم أولاء قد كثروا وتعددوا ولم يرد في الحديث إلا أنه واحد ولا نطيل بذكرهم ومن أراد ذلك فليرجع إلى مقدمة ابن خلدون .

نسخ الأديان السماوية السابقة وأشباهها بالإسلام .

إذا ذكر الأديان السماوية اليوم رجع الذهن إلى اليهودية والنصرانية والإسلام إذ لم يبق على وجه الأرض قوم ينتسبون إلى أحد من الأنبياء السابقين غير موسى وعيسى لهذا انحصرت الأديان السماوية فيهما .

وإذا ذكر القرآن أهل الكتاب رجع الذهن إلى اليهود والنصارى لأنهما حملة التوراة والإنجيل والزبور .

أما النبي نوح والنبي إبراهيم وغيرهما فلم يبق من ينتسب إليهم .

ولما ادعى كل من اليهود والنصارى ومشركو مكة وبراهمة الهند أنهم على دين إبراهيم فناداهم القرآن بقوله :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران:٦٧) .

وإن كان قد بقي في دين اليهود والنصارى والمشركين بعض آثار ملة إبراهيم فإنها قد تلوثت بالوثنية وانحرفت عن الصراط المستقيم ، لهذا جاء الإسلام والقرآن للتصحيح وقال :

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:٦٨) .

وكل ما في شعائر الإسلام من عبادات ومعاملات ومناسك الحج والأضحية وسنن الفطرة يدل على أن النبي محمداً

والمؤمنين أولى بإبراهيم إذ لا يوجد كل ذلك في اليهودية ولا في النصرانية .

ولقد أخبرنا القرآن أن اليهود والنصارى كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٨) .

وإذا تتبعنا تصرفات اليهود والنصارى في صفحات التوراة والإنجيل صدقنا ما قاله القرآن بأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله .

ولكن القرآن لا يزال يعترف بأن هناك بقية من أهل الكتاب تعمل بما في التوراة والإنجيل من كلام الله بقوله :

﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وتصديقًا لذلك وجدنا من بعض اليهود والنصارى من آمنوا بالقرآن وبمحمد ﷺ : وإن كان إيمان النصارى أكثر لما قال القرآن : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ إلخ .

وقرر القرآن بقاء حكم الله في التوراة والإنجيل بعد إثبات تحريفهما بقوله ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

وقوله ﴿ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة:٤٥) .

وهذا الحكم باق حتى الآن في التوراة .

وكذلك صفات النبي المشار إليها في القرآن بقوله ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ وحقا يجد القارئ هذه الصفات باقية فيهما حتى اليوم .

أشباه الأديان السماوية

أما أشباه الأديان السماوية فهي الأديان التي بيد أصحابها شبه الكتب المنزلة أو الأديان التي تدعو إلى مثل ما دعا إليه الأنبياء ولكنها تجردت من آثار التوحيد وتلوثت بالوثنية ، وإنما مثلها تشير الآية الكريمة ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (النحل:٦٣) .

ومن تلك الأديان :

المجوسية : وقد ألحق النبي أهلها بأهل الكتاب وفرض عليهم الجزية وعند مالك والشافعي كذلك وهنا حديث يقول سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب .

والصابئة : قوم ليسوا من النصارى واليهود والمجوس يؤمنون ببعض الأنبياء ثم يعبدون الكواكب ، والمانوية : ديانة ظهرت في بلاد فارس بعد المسيح فيها الصلاة والزكاة والإخبار بظهور النبي العربي ، والبوذية : ديانة في الهند والصين واليابان تضاربت الأخبار عنها يقال إنها كالمسيحية تدعو إلى الزهد وتعذيب البدن لتصفية الروح ولكنها تجردت عن الطابع الإلهي والعقيدة الإلهية . تلك نماذج من أشباه الأديان السماوية .

لما كان الإسلام ناسخًا لما مضى من الأديان دعا القرآن كل من كان على بقية من تلك الأديان يؤمن ولكن أهل الكتاب لم يؤمنوا إلا قليلاً ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة:٦٢).

كما أوعد الذين استنكفوا ولم يؤمنوا من كل فريق من هؤلاء بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

(الحج:١٧).

إلى هنا ينتهي كلامنا في مقارنة الأديان السماوية وأشباه السماوية والوضعية وكلام أهل النظريات الإلحادية الذين لا يؤمنون بالنبوة ولا بالوحي .

ميادين الدعوة وجبهات المدعوين :

ليعلم الداعية أنه اليوم أمام جبهات متعددة سوف يمارس الدعوة فيهم فيجب أن يستعد لمجابهة كل جبهة بما يليق بها من أسلوب خاص ويمكن حصر هذه الجبهات في خمس :

أولاً : أعداء للدعوة من الذين لا يؤمنون بالله ولا بأنبيائه جملة كالملحدين من الشيوعيين وغيرهم .

ثانيًا : أعداء للدعوة من الذين يؤمنون بالله ولكن لا يؤمنون بالنبوة ولا بالوحي بل يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ليعتمدوا على العقل والعلم كالعلمانيين والعقلانيين .

ثالثًا : إخوان له في الإيمان بوجود الله وبعض أنبيائه من غير الإيمان بالنبي محمد وقرآنه كاليهود والنصارى وأمثالهم .

وهؤلاء الثلاثة لا يخاطبون ولا يحاججون بالقرآن والحديث أول أول وإنما يخاطبون بما يفقهون وبما يقتنعون .

فالملحدون لا يفهمون معنى قال الله وقال الرسول .

مثاله الشاعر الذي أبطل قول الرسول بقوله :

ولا تحسب مقال الرسل حقا
ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد
فجاؤوا بالمحال فكدروه

وقال أيضًا :

أتـــى عيســـى فغـــير ديـــن موســـى
وجـــاء محمـــد بصـــلاة خمـــس
وقـــالوا لا نـــبي بعـــد هـــذا
فضـــاع النـــاس بـــين غـــد وأمـــس

وقال إيليا أبو ماضي اللبناني :

ليســـت جهـــنم غـــير فكـــرة تـــاجر
الله لم يخلـــق لنـــا إلا الســـما
زعمـــوا الإلـــه أعـــدها لعـــذابنا
حاشـــا وربـــك رحمـــة أن يظلمـــا
ما كان من أمـــر الـــورى أن يرحمـــوا
أعـــداءهم إلا أرق وأرحمـــا

إنما يرد الداعية على أمثال هؤلاء أولا بأسلوبهم الشعري على الجدل العلمي قبل أن يقبلوا منه قال الله وقال الرسول .

أما أهل التوراة والإنجيل فمن العبث أن تقول لهم قال القرآن الذي لم يؤمنوا به بل يجب على الداعية أن ينظر أولاً في التوراة والإنجيل ويدرسهما ليؤاخذهم بهما وعليه أن يستنير بما كتبه المتقدمون في الموضوع وأحدث كتاب في ذلك هو إظهار الحق لرحمة الله الهندي ومحاضرات في النصرانية للأستاذ محمد أبي زهرة .

أما الجبهتان الباقيتان فهما إخوان للداعية في الإسلام ولكنهم منحرفون قليلاً بما لا يفسد عقيدتهم ولا يخرجهم من حظيرة الإسلام .

وإخوان في الإسلام مستقيمون ولكنهم بحاجة إلى التذكير لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، وعلى ذلك يجب أن يسير الداعية على ضوء قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ .

بقلم آدم عبد الله الإلوري
مؤسس مركز التعليم العربي الإسلامي
أغيغي لاغوس ـ نيجيريا

الفصل الثاني

الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين الميلادي الخامس عشر الهجري

بسم الله وكفى وصلواته على النبي المصطفى ، وبعد :

فإن كل أمة منظورة بعين الفقر والغنى على قلة ما تمتلك من الثروة أو على كثرتها فيقال إنها أمة فقيرة أو غنية مستهلكة أو منتجة مقبلة على الحياة أو مدبرة عنها عاملة أو عاطلة معتمدة على نفسها أم كلة على غيرها .

والثروات عديدة منها معدنية ومنها نباتية ومنها حيوانية ومنها إنسانية وليست الثروة الإنسانية بكثرة السكان فحسب ، ولكن بجودة فكر السكان .

ولا جدوى للثروة الإنسانية إذا كانت أفكارها جامدة متحجرة لا تدر عقلاً ناضجًا ، ولا تؤتى من التعليم والتجارب ثمارًا طيبة قطوفها دانية .

وإذا فقد الإنسان فكرًا ناضجًا حل محل الحيوان الذي يعبث بالمعادن والنباتات والحيوانات حتى والإنسان كالقرود .

ومن أجل ارتفاع الإنسان من حضيض الحيوان تبنى الكليات والجامعات لتعليم طرق التفكير والتصنيع أو لتكوين المواطن الصالح النافع لنفسه وأمته وحكومته .

فكم من الكليات قيمتها المدارس الأولية أو الابتدائية أو الإعدادية لأنها لا تصنع رجالاً كاملين .

وكم من الجامعات التي تناطح السحاب في أروقتها ، ولكنها مع الثانويات سواء لأنها لا تنتج أفكارًا ناضجة بل تفتخر بأنها تمنح الإجازات العالية لا غير .

فنجد المتخرجين من أمثال هذه الجامعات أناسًا أجسامهم كالبغال وأحلامهم كالعصافير يجيدون الاستهلاك والجلوس على الكراسي الناعمة وحولهم مكتبات ضخمة تجذب الأنظار وتهوى إليها الأفئدة ولكنهم مع ذلك كنساء القرون الوسطى لا يجدن غير الغزل والمدح والرثاء ، جبلوا على الخسف والهوان لا يتحررون من عبودية التقاليد البالية ، ولا يهمهم غير الوصول إلى المناصب السامية لاستساغة المطاعم والمشارب والمراكب ولو على ثمن المبيع من الحق لشراء الضلال والباطل .

كـــالعير لـــيس لـــه بشـــيء همـــة
إلا اقتضـــام القضـــب حـــول المـــذود

ولكن سنة الحياة في التنازع على البقاء وحكم البقاء للأصلح يدخل الإيمان والطمأنينة في قلوب دعاة الإصلاح وقواد الأمة إلى الفلاح للانتظام في موكب التقدم وركب الأمم ويعلمون أن هؤلاء القوم نيام لابد من يقظتهم يومًا من الأيام إذا عمَّ الشعب الفهم والوعي والصحوة .

إذا الشـــعب يومـــا أراد الحيـــاة
فلابـــد أن يســـتجيب القـــدر
ولابـــد لليـــل أن ينجلـــي
ولابـــد للقيـــد أن ينكســـر

هذه من ناحية الحياة الدنيا .

أما ما يتعلق بالحياة الآخرة فقد أخطأ أكثر المسلمين فهم نصوص الشرع بأن الدنيا فانية وأن الساعة آتية قريبة فكفوا أيديهم عن متع الحياة وأعرضوا عن العمل لدنياهم ولم يذهبوا توا إلى أخراهم .

فعلوا ذلك لآيات مجيء القيامة بغتة وأحاديث أشراط الساعة الصغرى والكبرى ، وربما حددوا فناء الدنيا في القرن الرابع عشر الهجري ، لأنفسهم وهواهم ، فها هو ذا القرن الرابع عشر قد انقضى ولم تقم القيامة فدخلنا في القرن الخامس عشر فهل يدعو

المسلمون إخوانهم إلى رفض الدنيا في هذا القرن كما فعلوا في القرن الماضي!؟ أم هل يدعون إخوانهم إلى الجمع بين الدين والدنيا في هذا القرن حتى ولو كانت القيامة تقوم غداً ، وفي الحديث ، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

وإذا أنا كتبت شيئًا في مثل هذا الموضوع فإنما أكتب لإيقاظ همم من يستمع القول فيتبع أحسنه من إخواني في نيجيريا وما حولها ، ولست أبالي بالحاسد المعاند الذي يأخذ الحق ليتركه باطلاً والهدي ليلبسه ضلالا والعلم ليدعه جهلاً .

ليس يخلو المرء من ضد ولو
حاول العزلة في رأس جبل

وقيل :

وليت من لم يكن بالحق مقتنعا
يخلى السبيل ولا يؤذي من اقتنعا

أولئك وأمثالهم الذين كنت أحسبهم أيقاظًا وإذا هم رقود ، وكنت أظنهم ناضحين فإذا هم فجاج ، ولكني أرسلها بلاغًا ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

خصائص القرن العشرين الميلادي

القرن مائة عام من الزمان سواء كان شمسيًّا أو قمريًّا ، يفعل الله ما يشاء في كل قرن إذ يرفع أقومًا ويضع آخرين .

ويكون مع كل قرن عجائب وغرائب تحير الألباب وتدهش الأحباب ، ويبعث الله في كل قرن للأمة الإسلامية من يجدد لها أمر دينها كما في الحديث ، ومن خصائص القرن العشرين الميلادي أنه عصر البرهان وعصر محاربة التقلب والخرافات ، عصر اختار الناس فيه النظام الديمقراطي في السياسة على الأثوقراطي والأرستوقراطي ، كما اختاروا فيه ركوب السيارات والطائرات على الخيل والبغال والجمال ، واختاروا فيه استعمال الدبابات والذرات الهيدروجينية على الرماح والسيوف من الأسلحة القديمة ، واختاروا فيه سكنى المنازل والقصور على الخيم والأكواخ ، وحبب إليهم الجلوس على الكراسي دون الجلوس على الأرض .

عصر اشتد فيه الصراع بين الدين والعلم واستمر الصراع إلى مستوى الحرب بينهما ، فكثر أنصار العلم والإلحاد وقل أنصار الدين والإيمان إلا من شاء الله هديه وإرشاده .

ولم يجد أنصار الدين والإيمان بدا من التصالح والتهادن مع العلم فتم لهم الصلح والهدنة ، ثم انتقلوا إلى محاربة الإلحاد بكل ما أوتوا من عتاد .

إن العلم الحديث حمل معه وسائل الإلحاد إلى كل مكان ، لأن مخترعيها ليسوا من أهل الأديان ولا من أهل الإيمان فنشروا بذلك ما يساعد على الإلحاد والكفران ، فصار الإنسان لا يسمع في الإذاعات غير المجون والخلاعات ، ولا يقرأ في الصحف والمجلات غير ما يدعو إلى الميوعة والترف والتحرر من الأديان .

فالأمهات لا تلد إلا العققة والجامعات لا تخرج غير الفسقة والمجتمعات لا تنتج سوى الزندقة والهرطقة ، ولن يجد المؤمن ما ينكح من صالحات النساء غير الزالقة المتحذلقة ، وكل عام شر من الذي قبله .

هذا قليل من كثير من تركات القرن العشرين فماذا يكون فيما يليه!!؟ .

بين الإيمان والإلحاد

ما هو الإيمان وما هو الإلحاد ؟

الإيمان : هو الاعتقاد الجازم بالله خالق الكون بأسره .

والاعتقاد الجازم بأنبياء الله ورسله .

والاعتقاد الجازم بالكتب المنزلة من عند الله لهداية البشر .

والاعتقاد الجازم بالملائكة الذين يرسلهم الله إلى أنبياءه ورسله.

والاعتقاد الجازم باليوم الآخر بعد الموت والجزاء على الأعمال.

والإلحاد : هو الكفر بكل ما لا يرى بالبصر ولا يشعر به في الحس ولا يخضع للتجربة ، والإلحاد أنواع متعددة أشدها اليوم العلمانية التي تتخذ العلوم الحديثة سلاحًا ضد الأديان السماوية .

من الملحدين من اعترفوا بوجود الله ولكنهم ينكرون إرسال الرسل من البشر إلى البشر ، ومنهم من يعترفون بوجود الله ولكنهم ينكرون وجود الملائكة والجن وكل ما في عالم الغيب ، ومنهم من يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض كالذين آمنوا

بموسى وكفروا بعيسى والذين آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين .

الإيمان ليس جديداً على الناس بل هو الأصل في جميع الأديان الصحيحة والفاسدة ، والأديان السماوية جاءت لتصحيح الإيمان الفاسد الباطل .

والإلحاد كذلك ليس جديداً بل هو قديم مع قدم الإنسان ، ولكن الإلحاد في هذا العصر قد صار قويًّا شديداً مع التقدم العلمي والثورة الصناعية التي بدأت منذ ثلاثة قرون حتى هذا القرن العشرين ، واستعمل الناس كلمة العلمانية تمويها وتسترًا على الإلحاد حتى لا يفر الناس منهم .

ولم يجد علماء الدين بدا من أن يستعينوا بالعلم على محاربة الإلحاد ، كما لم يجد علماء الإسلام بدا من أن يستعينوا بعلماء الأديان السماوية في محاربة الإلحاد على أساس وحدة الأصل ، فاستعانوا بسلاح العلم الحديث نفسه على محاربة الإلحاد وعليه ظل الأمر حتى الآن ولله الأمر من قبل ومن بعد .

العلم والعلماء في الإسلام

إن الإسلام قائم على العلم ولكنه كان يبني العلم على أساس الدين ، لذلك حمل العلماء جميع الآيات الواردة في العلم وجميع الأحاديث في الحكمة حملوها على أمور الدين فقط دون أمور الدنيا .

فاتجه جمهور العلماء المسلمين إلى الفقه والنحو والبلاغة والأحاديث والتفسير ثلاثة قرون يقسمون الفروع على الأصول ويتفننون في هذه العلوم .

وفي هذه الفترة اتجهت جهود علماء أوربا إلى العلوم الطبيعية والبحوث الفلكية فأتوا بالعجب العجاب في أسباب المعيشة ، حتى آمن الناس بأن العلم وحده يستطيع أن يقوم بسد حاجاتهم دون الاستعانة بالدين .

وأن العلم قادر على إرضاء عقول الناس وأغراض الحياة دون الاستعانة بالدين الذي لا يعطي الإنسان غير الصلوات والأذكار والأدعية ومكارم الأخلاق الذي ربما يغني الناس عن الدين علم الأخلاق والاجتماع .

وهـذا مظهـر مـن مظـاهر الإلحـاد وصـورة مـن صـور الكفـر والزندقة، هذا كله من مخلفات القرن العشـرين ، فمـاذا ننتظـر أن يأتي به القرن الحادي والعشرين ؟! فالمسـلمون اليـوم علـى هـذا وذلك يجب أن يتزودوا بـالعلم مـن أجـل العلـم ، ثـم يجـب أن يتزودوا بالعلم من أجل محاربة العلمانية وتقوية أساليب الدعوة ، كما يجب عليهم أن يأولوا نصوص الشـرع إذا عارضـت الحقيقـة العلمية ، فإن القرآن خاطب القوم على قدر علومهم ، ولما سألوا عن كيفية الهلال لماذا يبدو صغيراً ثم يكبر ، حولهم إلى مـا وراء هـــذه العمليـة مـن الحكمـة ، إذ لم يتهيـؤوا لفهـم علـم الفلـك والجغرافيا .

وكذلك في غروب الشمس في عين حمأة حسب رؤية الرائي ، مع أنها أكبر من الأرض بعدة ألوف من المرئي فـلا تغـرب فيهـا إنما تغرب عنها ، وكذلك دحو الأرض في قولـه ﴿ **وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ** ﴾ ـ أوى الأرض فراشًـا مـع كونهـا كرويـة الشـكل مستديرة .

العالم بين منطق القوة ومنطق البرهان والعدالة

يجب على الدول العربية والإسلامية أن يدخلوا في عداد الدول الكبرى والدول الصناعية ، إن العالم اليوم لا يخضع لمنطق البلاغة والبيان والحجة والبرهان وإنما يخضع للقوة والسلاح قال الشاعر:

لا ترد الحقوق في مجلس الأمن
ولكن في مكتب التجنيد
إن ألفى قذيفة من بيان
لا تساوي قذيفة من حديد

العالم اليوم تبعا لتعاليم «مكيافلي» الإيطالي وهي قائمة على أساس «الحق للقوة والغاية تبرر الوسيلة وأنه لا محل لقواعد الأخلاق في أمور الدولة» وقد نشر هذا الرأي ١٥١٣م ودانت له أوربا وسار عليه بعض الدول بأفريقيا .

صحيح أن الإسلام دين السلام لذلك اتخذ السلام شعاراً له في كل شيء ، وإنما يضطر أحيانًا إلى حمل السلاح مجبوراً للدفاع عن نفسه .

ولقد ظلت الدعوة الإسلامية في أول ظهورها ثلاثة عشر عامًا

وهي تطارد وتضطهد لأنها عزلاء لا تحمل السلاح ، حتى أذن الله لها بحمل السلاح بقوله :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ .

وبعد حمل السلاح اعترفت قبائل العرب جميعًا بكيان الدعوة وسلمت لها القيادة ، ولم تزل الدعوة تحتمي بالدولة من أيام الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العباسيين إلى الأتراك العثمانيين.

وكانت الدول العالمية بأسرها تعترف بقوة الدولة الإسلامية عربية كانت أو أعجمية .

ولكن الونى والضعف بدأ يتسرب في الدعوة الإسلامية عندما فقد المسلمون القيادة والزعامة ، ولم يبق من يحمي الدعوة من الدول خصوصًا في هذا القرن العشرين فصار المسلمون غثاء كغثاء السيل في الكثرة التي لا تنفع ولا تفيد .

تعوي الذئاب على من لا كلاب له

وتتقي مريض المستأسد الحامي

من مخلفات القرن العشرين

يمتاز القرن العشرون بأنه قرن المؤتمرات والتكتلات في مختلف الميادين وللمؤتمرات محاسنها ومساويها .

ومن محاسن المؤتمرات التعارف الذي هو منطلق التعاون حيث يتبادل الاثنان الآمال والآلام ويشتركان في محاولة حلول المشاكل .

ولا أظن كاتبًا أو باحثًا يستطيع أن يستقصى المؤتمرات والندوات التي لها شأن يذكر عبر التاريخ الإسلامي ، فضلاً عن أن يستقصى المؤتمرات التي عقدت في النصف الأول والأخير من القرن العشرين الذي يمتاز بأنه عصر المؤتمرات .

ولا ينكر أحد ما في هذه المؤتمرات من منافع في جلب المصالح ودرء المفاسد ؛ لأن الإنسان يأنس بأخيه ويميل إليه ويسكن إليه ويستمع له لذا وصف بأنه مدني بالطبع والعاقل لا يستغنى عن المشاورة ، وقد قيل :

شاور أخاك إذا نابتك نائبة
يومًا وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تنظـــر منـــها مـــا نـــأى ودنـــا
ولا تـــــرى نفســـــها إلا بـــمـــــــرآت

والإسلام أول دين حث على المشورة ومدح المؤمنين على تشاورهم وقال : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ .

وفي الحديث : (المشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة) وعن أبي هريرة أنه قال : (ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله) .

غير أن أكثر المؤتمرات الإسلامية التي تم عقدها قد أسفرت عن قرارات كانت حبرًا على الورقات .

فإن كثيرًا منها يهدف إلى أغراض مستورة يدركها الذين تبنوها وبذلوا الأموال على ضيافة المدعوين (فلهم غاية ووسيلة) يريدون من الناس أن يؤيدوهم عليها ، ومن فهمهم وركن إليهم فيها سلم من الآفات ومن لم يركن ولم يفهم فعليه الملام ، وإذا صرح أحد المدعوين برأي مخالف انقبضوا منه ، ولكنه إذا تمادى على رأيهم على سبيل النفاق انشرحوا وهتفوا له .

وإذا طلبوا من المدعوين إعداد مقالة أو بحث وكتب أحدهم وأرسلها إليهم وإن صادف القبول فمرحبا به ، وإن لم يصادف فلا

يرد البحث إلى صاحبه ولا يعرف صاحبه مصير بحثه فيضيع جهدُه كما يضيع الملح في البحر أو تغتاله يد الغائلة .

بلغ الأمر إلى الحد الذي يحمل الذاهب إلى المؤتمرات على كتمان أمره أن لا يصرح به لأن الناس يقولون ما فائدة تلك المؤتمرات السابقة وما نتائجها !؟ ولماذا تذهبون الآن ؟

والمطلوب منا في القرن الحادي والعشرين أن نجتمع للعمل لا للقول فقط وهناك من يعمل صامتا ولا يتثرثر ، وأن تستمر المؤتمرات لأنها وسيلة التعارف واللقاء والإخاء والتعاون ، فإن الأمم والشعوب اليوم تسعى سعيًا حثيثًا وراء الإخاء الإنساني وتعمل من أجل التكتلات السياسية والاقتصادية في الحدود الإقليمية وفي النظام العالمي ليتم التعايش السلمي بين الأمم والشعوب ، والمؤتمرات الجديدة خطوة إيجابية يتم بها التفاهم الذي له دور فعال في حل المشاكل الإقليمية والدولية ويجب أن نقول قليلا ونعمل كثيرًا خلاف ما كنا نتكلم كثيرًا ونعمل قليلاً .

الشخصية العربية لا شرقية ولا غربية ولا في العالم الثالث

إن من المأسوف عليه أن لا يستقل العالم العربي تمامًا من قيود الشرق والغرب وكل دولة عربية إما عميلة لأمريكا أو عميلة لروسيا أو الصين .

وإذا ما تنفس العرب الصعداء في الاستقلال السياسي فإن في أرجلهم في مجال الاقتصاد قيودًا وسلاسل يرسفون فيها .

وإذا قيل لواحدة من الدول الأفريقية الناهضة تعالى إلى الركب الإسلامي فإنك تجد بديلاً في الشريعة الإسلامية من كل ما هو مفقود في الشرق والغرب قالوا إذا فعلنا ذلك فلنكون كمن من دول العالم العربي أو الإسلامي ؟؟!

إن غاية ما يفتخر به العالم العربي أنهم يملكون البترول ليبيعوه إلى الدول الصناعية الكبرى ثم ماذا ..... ؟! ولو أبت هذه الدول أن تشتري بترول العرب فماذا تفعل العرب بهذا البترول؟ .

فلماذا لم يظهر من الدول العربية حتى الآن من يندرج في الأمم الصناعية الكبرى ، بل ظلوا يعتمدون على أمريكا واليابان وفرنسا

وإنجلترا في شراء السيارات والطائرات والأثاث والأسلحة !؟ فعلى الدول العربية أن يتقدموا إلى هذا الميدان لأن مسؤولية الأمم الإسلامية تقع على عاتق الأمة العربية لنص القرآن ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ .

ثم إذا أرادوا الكرامة والعزة والمجد والسؤدد فإنهم لا يجدون ذلك إلا في تعزيز أنفسهم أولاً ، ثم في قيادة الأمة الإسلامية إلى النجاح كما فعل أسلافهم في أول ظهور الإسلام لقد صدق الأثر القائل :

(إذا عز العرب عز الإسلام) والله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولكن للعزة أعمال وجهود وليست العزة في الغفلة والنوم والدعة والراحة ولبس الناعم وأكل الطيبات من الرزق .

ومما يثلج القلوب الغليلة أن تمشي جمهورية مصر العربية الإسلامية رويدا رويدا إلى الأمام في ميدان الصناعة رغم ما أحاط بها من ظروف قاسية تدع الحليم حيران منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اليوم ، نسأل الله لها النجاح في مقاصدها الطيبة للأمة العربية والأمة الإسلامية ونسأل الله أن يوقظ في نفوس العرب والمسلمين همة عالية ليلحقوا الركب .

هل الاستعمار الغربي من موانع تقدم العرب اليوم ! ؟

يحلو ويطيب في أفواه كثير من الخطباء في المجتمعات إيقاع اللوم على الاستعمار والمستعمرين ، وينشرح صدر الكتاب أن يرسلوا أقلامهم في المجلات والمجلدات أن الاستعمار هو العامل الأول والأخير في تأخر العرب والمسلمين إلى اليوم .

وبعد أن بدأ العرب وغيرهم في مطاردة الاستعمار من بلادهم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فتحررت البلدان وصار الحكم بيد أبناء البلاد ، فهل الاستعمار هو المعطل حتى اليوم عن التقدم أم ماذا منع المسلمين من إلحاق الركب والانتظام في الدولة الكبرى.

مع العلم أن هناك بلادًا كالحجاز واليمن لم تدخل قط في نير الاستعمار ومع ذلك لم تلحق ركب الحضارة كما ينبغي .

اللهم إلا ما تحركت به مصر في الصناعات ومن ورائها العراق بعد أن دامتا في قبضة الإنجليز ردحًا من الزمان .

إن الشكاية سلاح الضعفاء وليس من الحكمة أن يتصارع الرجلان فيغلب أحدهما الآخر ، ثم يظل المغلوب يبكي ويشكو

بأن الغالب مكار غلبهُ بالمكر وأن الغالب ظالم غاشم ليس في قلبه رحمة ولا إنسانية ، فما دام الطرفان في الحرب فالحرب خدعة ، وكل محارب يحتال أن ينتصر على غريمه بأي وسيلة حتى ولو كانت الوسيلة جائزة أو مستحيلة .

هكذا ظل المسلمون في نيجيريا يشكون بأن النصارى لا يحبون المسلمين بل يضعون في طريقهم العراقيل والعقبات ويصدون عليهم السبيل في التعليم والتطبيب والتوظيف .

لهذا نسأل أمثال هؤلاء هل إذا كانوا هم النصارى ممن لهم إمدادات وإمكانات هل ينصرون بها النصارى في نشر أديانهم أو يعملون لنصرة الإسلام والمسلمين فماذا الذي يمنع المسلمين أن يعملوا لدينهم كما يعمل النصارى لدينهم ؟! .

من التضحية والبذل بسخاء والعمل في خفاء بغير الدعاية أو حب الثناء .

نيجيريا في مفترق الطرق

يبلغ سكان نيجيريا مائة وعشرين مليونًا ويبلغ عدد المسلمين في هذا الرقم العظيم خمسة وسبعين مليونا ، فهي معدودة في جملة الدول الإسلامية من ناحية ضخامة السكان ومحسوبة في الدول الأفريقية من ناحية القارة إلى جانب الدول العربية بين قارتي آسيا وأفريقيا .

والدول الإسلامية والعربية والأفريقية كلها معدودة ضمن دول العالم الثالث ، فما هي دول العالم الثالث : فقل هي الدول الضعيفة التي لا تزال تعتمد على دول الكتلة الشرقية الاشتراكية ودول الكتلة الغربية الرأسمالية .

وهي لا تزال تجاهد وتناضل حتى تثبت قدمها في المكان اللائق بها على الصعيد الدولي .

استمرت المنازعات بين هذه الدول الثلاث أعني الدول العربية أو الدول الإسلامية أو الدول الأفريقية صار كل دولة تعمل على أن تكون زعيمة العالم الثالث .

أما نيجيريا التي تباهي العالم الثالث بكثرة سكانها وضخامة ثروتها النباتية والحيوانية ، وهي أيضًا من الدول المنتجة للبترول

لكنها تتحكم فيها النزعات القبلية والمحسوبية السياسية ، ويتناحرفيها النظام الديمقراطي مع الأرستوقراطي والأوثوقراطي كما تتصارع فيها الأديان الثلاثة : الإسلام والنصرانية والوثنية ، وتتعدد فيها اللغات أولها لغة الأم وأهمها ثلاث الهوساوية واليورباوية ولغة الإيبو ثم لغة الحكومة وهي الإنجليزية وبها فقط يستطيع النيجيريون أن يتفاهموا خارج بلادهم ، ثم لغة الديانة وهي خاصة بالمسلمين ، وهي لغة القرآن ، فالطالب في مفترق الطرق أمام هذه اللغات . في أيها يتعمق وعلى حساب ماذا يتعلق .

obeikandl.com

حداثة نيجيريا وطفولتها في القرن العشرين

لم يتميز هذا الجزء من أجزاء غرب أفريقيا باسم نيجيريا إلا في عام ١٩١٤م ، لذلك نجد كل شيء باسم نيجيريا حديثًا عهده وغريبًا ظهوره وطازجًا غير ناضج وناقصًا غير كامل فالمدارس الإنجليزية التي تثقف وتنور البصائر حديثة بعد حدوث نيجيريا ، فالجامعات كلها حديثة أقدمها جامعة أبادن وقد أسست عام ١٩٤٨م لتكون تابعة لجامعة لندن حتى استقامت واستقلت أخيراً.

فالسياسة الديمقراطية حديثة جدًّا لم تدخل في أفهام الزعماء والأمراء الذين يتغنون بالتقاليد الموروثة من الآباء والأجداد ، وهم لا يزالون يتمنون أن تسير الدنيا ورائهم وكلهم من غرس السياسة الغربية وكانوا أشداء الامتعاض من كل نظام ديمقراطي ، فالسياسة الغربية المستوردة لا لون لها ولا ضمير ولا رحمة ولا شفقة بل هي عمياء تقوم على المنفعة العاجلة ، لهذا يسوغ للساسة أن يشتروا الأصوات وينفقوا بسخاء على من يضرب لهم الطبول ويزمر المزامير وينفخ الأبواق ، وهؤلاء عبيد البطون كلما امتلأت جيوبهم بالمال من حلال وحرام فعلى الدنيا سلام لا بأس ولابؤس ، وسواء في ذلك الحكومات المدنية أو العسكرية التي حكمت البلاد منذ الاستقلال .

فالصحافة حديثة العهد فترى صحف نيجيريا اليومية تكتب الأحداث الخبيثة بالحروف البارزة ولا ينظر الناشر إلى ما وراء هذه النشرات من الصبغة الخبيثة ، بل يريد الناشر لفت أنظار الناس إلى الغرائب التي تضحك أو تبكي من غير النظر فيما يبقى إلى الأبد أو ما يسمع العالم من الأخبار السيئة عن بلاده . وترى صفحات الجرائد اليومية صغيرة المقياس على مقدار صفحات المجلات الأسبوعية والشهرية .

ومما منيت به نيجيريا أنك لن تجد بناء قائمًا يعود عهده إلى ألف سنة كما توجد في مصر وسوريا والعراق وشمال أفريقيا .

والبنايات الحكومية التي بنيت أيام الاستعمار قد أحرق الخائنون أكثرها ، فإنهم إذا سرقوا ما فيها وأرادوا التمويه على الباحثين أطلقوا عليها النار ليلاً أو نهارًا ولا يعرف منشأ النار فتضيع الوثائق .

ومما منيت به أيضًا أن زعماء السياسة ورؤساء الأحزاب كلهم يعملون لهدم ما كان يبني غيرهم ، ولن تجد حكومة تعترف بفضل سابقتها في شيء بل تريد أن تطوي جميع حسنات سلفها في طي النسيان وسجل الإهمال .

ومن الصعب أن تكون أمة على مثل هذه الهمة ثم تريد أن يبقى لها ما تفتخر به في الصعيد الدولي ، وكذلك منيت جما غفيرًا من الأبناء على حمل المخدرات والكوكايين أكثر من غيرهم في البلاد .

وهل ستستمر نيجيريا على النظام الفيدرالي الحالي أم ستنسحب منه إلى غيره ؟

وهل ستستمر نيجيريا على الاسم المصنوع على عين الاستعمار منذ ١٩١٤م أم ستحاول الرجوع إلى أحد أسماء الدول الأفريقية القديمة كما فعلت غانة ومالي وغيرها وبقى اسم سنغاي التي حكمت نيجيريا زمنًا ؟

دعا أحد المفكرين إلى التسمي باسم صنغاي أيام الاستقلال ولكن الناس ضربوا بدعوته الحائط فتحطمت في مهدها ونسي الناس أمرها وأعرضوا عن ذكرها ، كل هذه الأسئلة يجيب عليها المستقبل ويدعو إليها الحاجة المريرة والضرورة المحتومة ، فإلى أين تسير نيجيريا إذن ؟؟!!

ومن بلايا نيجيريا كثرة المتسولين العاطلين الذين يعيشون كلاً على الناس وأكثرهم مسلمون سواء كانوا ذوي عاهات وآفات أو ذوى سلامات يطوفون ببيوت الناس في العواصم لا يفرقون بين بيوت المسلمين وغيرهم ، ويلتفون حول كل سيارة في موقف انتظار المرور في مفترق الطرق وغير المسلمين من النصارى يضحكون بالمسلمين لأنهم وحدهم من يتعاطى التسول بهذه الصورة الشنيعة الذي يندى لها جبين العاقل الحر المستحيي ، ولو كان هؤلاء الكسالى يعملون لسدوا على الأمة بابًا واسعًا من أبواب الفقر .

عمر الدنيا وفناؤها

قال ابن رشد القرطبي :

سبحان من ليست له بداية
ولا له حد ولا نهاية

ذهب أهل التوراة إلى أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وقد بدأ والتاريخ من خلق آدم إلى ما بعده وسار على هذا القول أهل الإنجيل .

وجرى خلفهم بعض علماء الإسلام وليس لهم في ذلك دليل ثابت في القرآن وإنما كانوا يذكرون أحاديث عدها المحققون من الإسرائيليات .

أما القرآن فقد نص على خلق آدم بعد خلق السموات والأرض والجبال والملائكة والجان وعددًا من الخلائق لا يحصون .

وتدل النصوص التي جاءت في المحاورة بين الله والملائكة عند قولهم :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ويقول الله : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تدل على أن الله قد خلق خلقًا قبل آدم هذا .

أما التكهن في بدء الخلق وعمر من مضى فقد قال القرآن : ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ .

أما نهاية العالم فلابد منها إذ لابد لكل بداية نهاية ، والقرآن لم يذكر متى تنتهي هذه الحياة الدنيا وتبتدئ الحياة الآخرة ولكن أشار إلى الحياة الأخرى بقوله ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم:٤٨) .

لم يذكر الوقت وإنما قال في عدة آيات أن الساعة تأتي بغتة ومن تلك الآيات قوله : ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ﴾ وأشراط الساعة علامتها ، وجاءت أحاديث كثيرة تخبرنا عن أشراط الساعة الصغرى والكبرى منها حديث ابن عمر حين جاء جبريل يسأل النبي عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرني عن أمارتها ، قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان .

وروى البخاري عن أنس عن النبي قال : (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة قيم واحد) .

وروى البيهقي في سننه حديثًا جاء فيه أن النبي قال : (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن

إلا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود) اهـ .

وروى ابن ماجه حديثًا عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ (يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صدقة ولا نسك ويسري على الكتاب في ليلة فلا يبقى في الأرض به آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها) اهـ .

obeikandl.com

حديث الشوكة

من أشراط الساعة ما جاء جملة في حديث الشوكة لم أقف على تخريجه حتى الآن ونصه عن ابن عباس « أن النبي ﷺ لما حج حجة الوداع أمسك بيده حلقة الكعبة وهزها وبكى بكاء شديدًا فقال أبو بكر الصديق مم بكاؤك يا رسول الله ؟ فقال كيف لا أبكي وهذه آخر حجة لا أحج بعدها وأبكاني فراق الكعبة وتوديع المسلمين ثم قال ليبلغ الحاضر الغائب :

إن مثلكم كمثل ورق بلا شوك إلى سبعمائة سنة ثم تكون أمتي ورقًا وشوكًا إلى تمام ألف سنة ثم تكون أمتي شوكا بلا ورق فلا ترى فيهم إلا سلطانًا جائرًا أو غنيًّا بخيلاً أو عالمًا راغبًا في المال أو عابدًا مرائيًا أو فقيرًا كاذبًا أو تاجرًا فاجرًا أو صانعًا خائنًا أو شيخًا غافلاً أو شابًّا فضيحًا أو امرأة لا حياء لها .

ثم قال عكاشة كيف يكون ذلك الزمان يا رسول الله قال يكون فيه قوم يصلون ويصومون ويقرأون القرآن ولا يجاوز حناجيرهم أقوالهم أحلى من العسل وأفعالهم أنتن من رائحة البصل قلوبهم مسودة بأعمالهم وخبث سرائرهم .

فقال ما علامة ذلك يا رسول الله قال : إذا أكرم الشعراء وأهين العلماء وتشاور النساء وخلط في الأموال الربا يجعلون الدنيا فوق رؤوسهم والعلم والقرآن وراء ظهورهم قد صار الغش فاكهتهم وغيبة الناس مجالستهم يرفعون الأصوات في المساجد لحديث الدنيا لا يرحم غنيهم فقيرهم ولا يوقر صغيرهم كبيرهم زمان يركب فيه الفروج السروج وتأكل القضاة الرشا ويشهد أهل العدول بالزور ، يخفى فيه الحق ويظهر فيه الباطل وتشيد البناء وتهان المساجد ويظلم الأحرار عبيدهم وتأكل الأم فيه كسب فرج بنتها المؤمن بينهم ذليل والفاجر عزيز زمان يكون فيه الأمير كالأسد والقاضي كالذئب والتاجر كالثعلب والفاسق كالكلب والمؤمن كالشاة ثم بكى رسول الله فقال يا لها من شاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب) .

قلت هذا قليل من كثير من أشراط الساعة الصغرى التي وردت في أحاديث الرسول ، أما أشراط الساعة الكبرى فهي عشرة صرح القرآن ببعضها وشرح الحديث البعض الآخر ، تكلم أهل العلم في عدم صحة تلك الأحاديث وهل هذه الأشراط تقع حقيقة أم مجازًا ، فأول بعضهم تلك النصوص كطلوع الشمس في المغرب حملوها على ظهور العلم الحديث في أوربا ، وخروج الدابة من الأرض حملوها على السيارة التي تدب على الأرض من الحديد المستخرج من الأرض وكلامها صوتها وصفيرها ، وخروج

يأجوج ومأجوج حملوها على الروس والصين ، أما نزول عيسى فإن القرآن الكريم لم يصرح به بل هو من الإسرائيليات لأن يوحنا الإنجيلي هو أحد الحواريين كان ينتظر نزول عيسى ، يومًا بعد يوم حتى عاش مائة عام فمات هو ولم ينزل عيسى أما خروج المهدي فنسبوا أحاديثه إلى الشيعة كما في مقدمة ابن خلدون .

أما أهل الحديث أو النصوص فقد كادوا يجعلون كل ذلك في سلك العقيدة يجب على كل مسلم أن يؤمن بها ويعتقدها ولسنا الآن بصدد البحث حولها .

أما أشراط الساعة الصغرى فقد بدأ ظهورها منذ آخر أيام النبي ولا يزال حتى الآن يظهر ما يصدق النبي ﷺ في تلك الأشراط ، لهذا حمل الفهم الخاطئ بعض الناس على ترك أمور الدنيا التي كادت تفنى وأقبلوا على شؤون العبادة والآخرة التي تبقى .

فظل البعض عاطلين لا هم في عمل الدنيا ولا هم في عمل الآخرة ، ولو ترك جميع المسلمين شؤون الدنيا منذ بداية ظهور أشراط الساعة لما بقي فيهم عين ولا أثر .

ولو ترك جميع المسلمين الدنيا بتاتًا منذ بداية ظهور أشراط الساعة لما تأسست الدول الإسلامية في الهند وأندونيسيا وغرب أفريقيا .

فهل يتركون الدنيا تسير في واد وهم يسيرون في واد عند القرن الخامس عشر الهجري الحادي والعشرين الميلادي . أم سوف يخوضون غمار الحياة الدنيا لأخذ الزاد منها للحياة الأخرى .

أما بعد فهذه محاضرة سبق أن ألقيتها عند مطلع القرن الخامس عشر الهجري في رحاب جامعتنا بمدينة إلورن على نمط ما كنت أكتب أو أخطب لتلامذتنا في شروط النهضة ووسائل التقدم ودروس التوعية ، لم أقصد مخاطبة العلماء والأدباء ، إنما قصدت تنوير أذهان الطلاب النياجرة .

لذلك لم أتوسع في الموضوعات ولم أذهب بعيدًا عن المجال ولم أتكاثر في كمية الصفحات ولم أرتفع إلى المستوى الأدبي العالي في التعبير .

وإنما وقفت في منتهى إدراك الطلاب النياجرة حسب الإقليم والسليقة والبيئة التي تحيط بهم ليفهموا المراد في يسر وسهولة .

ثم ليعلم القارئ أني لم أقف على ما كتبته الأعلام في هذا الموضوع قبل إلقائه محاضرة ، وما عثرت على مكتوب فيه قبل إرساله الآن إلى الطبع للنشر والتوزيع ، ولكني اعتمدت على رؤيتي السانحة في الأولى والثانية ، والقريحة جامدة ، والفكر مشتت في مجريات الأمور .

وحذفت من الأولى أطرافًا لا حاجة إليها وزدت على الثانية عند الطبع أطرافًا لابد منها للذكرى والتاريخ المناسب لعيد الأربعين عامًا في جهادنا وجهودنا في سبيل التعليم والوعظ والإرشاد ونشر الأفكار الناضجة عبر المنشورات والكتب والمجلات في مركز التعليم العربي الإسلامي .

فمعذرة مني إلى أصحاب الأقلام السيالة والأفكار العميقة العالية فإن جهد المقل يعتبر كثيرًا وإخراج شيء حسن من حيز العدم إلى حيز الوجود يعتبر أجدى وأحسن من لا شيء وعلى الله قصد السبيل .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

آدم عبد الله الإلوري

obeikandl.com

الفصل الثالث

الإسلام بين الحقيقة والواقع

خطاب مفتوح وموجه إلى العلماء الدعاة والوعاظ من أعلى المنابر في المساجد .

ورسالة مفتوحة وموجهة إلى الدكاترة حملة الإجازات العليا وهم جلوس على الكراسي في كلياتهم .

ونصيحة خالصة إلى طلاب العلم بالجامعات ورواد العلم في فصولهم ومقاعدهم بمختلف المعاهد .

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

وصلى الله وسلم على رسوله الكريم ..

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ (الكهف:٦٠-٦٢).

- فأخذ من الآية ضرورة تحمل التعب لكل طالب علم .

قال رسول الله ﷺ : «ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما ضاع بين الجهال» رواه مالك في الموطأ .

نأخذ من الحديث وجوب الصبر على العلماء في إرشاد الجهال .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :

الناس فيما علموه وجهلوه أربعة أقسام :

رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه .

ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه .

ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه .

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه.

نأخذ من كلام الفراهيدي أن ليس كل من يدعي العلم بعالم .

(أقول) قرأت منذ أوائل الخمسينيات مناقشة حارة بين ثلاثة من أساتذة الأزهر الذين يدعون إلى إصلاح واقع المسلمين .

قال أولهم : من أين نبدأ ؟ وقال ثانيهم : من هنا نعلم ، وقال ثالثهم : من هنا نبدأ ، وعلى الهدى من كتب هؤلاء الكبار أسير وأحاول أن يسير معي قارئ هذا البحث المتواضع في حقيقة الإسلام وواقع المسلمين اليوم في غرب أفريقيا ، وفيما يماثلها من البلدان الإسلامية ، فنبدأ القول بأن الدعوة الإسلامية قد تدحرجت من الأوج إلى الحضيض ، فصار الدعاة يحتاجون إلى العباقرة الذين يضعون لهم معالم في طريقهم ليهتدوا بها .

فالدعاة مطبوعون ومصنوعون .

فالداعية المطبوع ، هو الذي جعل الله الدعوة في طبيعته وخلقته وجبليته ، غرس الله في قلبه شجرة الدعوة تثمر الخير في كل حين ، وهذا لا يحتاج إلى بحثنا .

أما الداعية المصنوع فهو الذي نربيه ونمرنه على معرفة أسباب النجاح في الدعوة ، فمثل هذا يحتاج إلى رسالتنا هذه ونحاول فيها الإجابة عن الأسئلة الثلاثة ونختمها بالرابع تحت عنوان :

« من هنا نعمل » .

والجامعات الحديثة إن كانت تفهم رسالتها ومهمتها للمجتمع، إنها مطالبة بإنجاب النخبة الممتازة تقوم بقيادة الأمة مادية وروحية .

فهل نجحت الجامعات في مهمتها الدنيوية فضلاً عن مهمتها الروحية؟! ولهذا وجهنا الرسالة إلى الدعاة وإلى الجامعات .

كما وجهنا إلى رجال المستقبل وأمل الغد من طلبة الجامعات عسى أن يجدوا في الرسالة كلامًا واحدًا يفيدهم في مسعاهم .

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إن اختلاف حقيقة الإسلام وواقع المسلمين في هذه الحياة الاجتماعية قد صار مثار الجدال بين العلماء الدعاة وغيرهم .

وحقيقة الإسلام وواقعه قد شغلت حيزاً كبيراً في أذهان المعنيين بالدعوة إلى الله ، واستطرد الجدال يمضي في معنى الحقيقة ومعنى الواقع ، إلى القضاء والقدر وإلى إرادة الله وقدرته ، وهل وقع ما وقع بمشيئة الله ، أم هل وقع من غير إرادة الله ؟ وتعالى الله عن الغفلة والعجز والمرض وكل عوارض البشر علواً كبيراً .

وهل يسعى الدعاة في محاولة تغيير الوضع من حالة إلى أخرى؟

هل يهدفون إلى ذلك بالوعظ من أعلى المنابر ، وبالتعليم والإرشاد من المدارس والمعاهد والجامعات ؟

والجامعات الحديثة بمبانيها وقصورها وقاعاتها ومكتباتها وأساتذتها وتلامذتها ، هل أدت رسالتها للمجتمع ؟ أو قامت

بمسؤوليتها المدنية من اختراعات ومكتشفات وعلاجات أم هل عجزت الجامعات عن أن يظهر أثرها في هذا المجتمع الذي تأثر بما حوله من آثار الحضارة والمدنية ؟

وإذا كانت قد عجزت عن أداء مهمتها الدنيوية والروحانية ، فقد تقتدر على تغيير شيء في مجال الدعوة إلى الله .

لذلك انقسم العلماء فريقين :

فريق : يرى أن من الواجب السعي وراء الحياة لتحويل أبناء الدنيا إلى أن يكونوا أبناء الآخرة ، وبعبارة أخرى ، إخضاع الدين للواقع أو إخضاع الواقع للدين .

وأبناء الدنيا هم الذين نسوا ويئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور .

هذا الفريق قالوا إن الدنيا اليوم قد أدبرت عن توجيهات الأديان، وفي غنى عن مواعظ العلماء وأصوات السماء .

فإن الدعاة ، مهما أجادوا الوعظ والإرشاد ، لا يستمع إليهم الناس ، لأن الوعاظ بشر مثلهم ، ليسوا بالملائكة ولا بالأنبياء .

ولو أراد الله بالناس أن يتمسكوا بكلام الواعظ لبعث رسولا جديداً .

فدعوا إلى التمسك بقواعد الأخلاق التي زعموا أنها تغني عن حقائق الأديان .

وفريق ثان : يرى أن لا حاجة إلى صوت الوحي ومدد السماء وكلام الأنبياء ، لأن سلطان الدين قد انزوى ، وأن سيطرة الدين على النفوس قد انقضت إلى غير رجعة .

فدعوا إلى التمسك بقواعد الأخلاق ، وزعموا أنها تغني عن الدين وأخلاقه .

واستدل بذلك على أن كثيراً من أهل أوربا قد تحسنت أخلاقهم ، وتباركت أفعالهم مع التمسك بأطراف الأخلاق ، ولم يتعلموا الدين ولم يعرفوا تعاليمه .

فقد ضربوا لذلك مثلاً في أخلاق الإنكليز والفرنسيس وغيرهم في الأمانة والوفاء وقلة الحرص والتميع والنفاق .

وقد يقال إن علم الأخلاق عجز عن القيام مقام الأديان ، فإن تعاليم الإسلام قد سيطرت على قلوب الرجال لأن الضمير هو الذي ينبه العاقل ويوقظه والقانون الأرضي لا يملك من الجلال والروعة والكمال ما تملكه قواعد الدين ، فكم من علماء الأخلاق من يقع في جريمة من الجرائم التي لا تغتفر إذا غاب عن مراقبة الرقيب . أما الديني فإنه يخاف الله رب الأرض والسماء .

وأضافوا إلى ذلك أن رجال الكنيسة ورجال المساجد كانوا يأتون المنكر من الفعل أكثر من غيرهم ، مع أنهم ظلوا يدعون الناس إلى الفضائل ونبذ الرذائل كما يدعون الناس إلى الله .

قرأت في بعض الكتب لم يحضرني الآن اسمه واسم مؤلفه قال: (إن رجلاً أوربيًّا أسلم في بلاده وقرأ شيئًا من العربية والفقه الإسلامي والتاريخ الإسلامي في بلاده قبل أن يتوجه إلى بلاد العرب ليزداد علمًا بهذا الدين ، وعاش مدة هناك ، فلما رجع استقبله أصحابه يرحبون به ويسألونه هل أتيت بخبر السماء ؟ قال نعم ، سألوه عن كيفية حالة المسلمين في تلك البلاد ، ماذا استفدت من رحلتك هذه وكيف وجدت المسلمين العرب؟) . فأجاب الرجل على الفور قائلاً : (الحمد لله الذي جعلني أعرف الإسلام قبل أن أعرف المسلمين) .

قلت : ذلك هو حقيقة الإسلام التي قرأها الرجل وأحب الإسلام، وهذا هو الواقع الذي عليه المسلمون ، وقد شاهده الرجل وكاد يندم على إسلامه .

وها نحن أولاء ندور حول هذه النقطة ونسأل الله التوفيق والسلام .

جمادى الأولى ١٤١٢هـ

ديسمبر ١٩٩١م

آدم عبد الله الإلوري

بين الحقيقة والواقع

يقول علماء المنطق والأصول : إن حقيقة الشيء هي ماهيته وأصله ووضعه .

والحقيقة أيضًا : كلمة استعملها العلماء اللغويون لما وضعت له من المعاني من كلمات أخرى في اللغة العربية فثبت أن لكل حقيقة معناها اللغوي الذي هو الأصل ، وأن لكل كلمة حقيقية معناها المجازي الذي هو الفرع المستعار للمعنى الجديد .

ولذلك قالوا : إن الحقيقة كون الشيء على ما يرام أن يكون ، مثل إطلاق كلمة الأسد على سلطان الوحوش في الغابات وضدها المجاز .

أو كونه على ما يعتقد أن يكون عليه ذلك الشيء .

ولا يتعدد معنى الحقيقة في كل كلمة ولكن المجاز كلمة استعيرت لغير معناها الأصلي كإطلاق كلمة الأسد على الإنسان الشجاع .

وتتعدد وتتجدد معاني هذه الكلمة حسب تعدد من يستعيرها مجازًا لما يريد .

ومن أجل فهم الحقيقة والمجاز ، نستأنس بما يقول علماء المعاني والبيان عندما يسندون الكلام إلى المبتدأ والخبر تحت عنوان الإسناد الخبري .

ويقولون حين يضربون مثالاً للمناسبة بين الحقيقة والمجاز في المسند والمسند إليه .

أولاً : (أنبت الربيع البقل) ويقولون في هذا الكلام أنه طابق الواقع وخالف الحقيقة ، ذلك لأن الربيع هو السبب الأول لإنبات البقل على الظاهر والعادة الحسية ، ولكن الحقيقة هي أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لإنبات البقل وإحلال موسم الربيع .

ثانيًا : (أنبت الله البقل) ويقولون في شرح هذا الكلام إنه طابق الحقيقة فقط دون الواقع ، لأن الواقع إنبات البقل في الربيع ، والحقيقة كون الربيع والإنبات بقدرة الله .

فكم من بقل نبت في غير الربيع ، وكم من ربيع أتى ومضى من غير إنبات البقل ، وإن كان الله هو الفاعل الحقيقي غير أنه ربط الأسباب بمسبباتها ، لذلك ربط إنبات البقل مع الربيع ولو شاء لأنبت البقل في كل موسم ولكنه لم يشأ .

ثالثًا : (أنبت البقل شباب الزمان) يقولون في هذا الكلام إنه خالف الحقيقة والواقع من جانب ، وطابقهما من جانب آخر على كون الأمر مجازًا .

رابعًا قولهم : (أحيا الأرض شباب الزمان) فإنه خالف الحقيقة والواقع من جميع النواحي .

أقول : وعندي أن معنى الواقع في الأصل جاء بمعنى الحال ومعنى الوضع كما أن معنى الحقيقة هو ماهية الشيء وعينه أو ذاته وربما لا يستمر الواقع على حاله .

يقول الحريري :

الدهر أنكد من أن يستمر به

حال ، تكرهت تلك الحال أم شئتا

ومن ثَمَّ أخذ معنى الواقع يتعدد بتعدد من يستعمل الكلمة على طريقة المجاز .

والتعريف الإجمالي للواقع والحالة هذه أن يقال :

الواقع منظر أو مظهر خارجي تولد من أسباب عديدة ومقدمات سابقة وقد يكون مطابقًا للحقيقة كمولود طابق والديه أو كصورة طابقت الشخص الأصلي ، وربما كان الواقع مخالفًا للحقيقة بسبب لحق به في الأصل .

وكانت كلمة الواقع من المصطلحات التي تواطأ عليها الفلاسفة القدماء والفلاسفة المعاصرون .

أما الفلاسفة القدماء ، فهم الذين عاشوا في العصر المدرسي أو العصر الذهبي للفلسفة ، حيث بلغت الفلسفة أوج مجدها على

يد سقراط وأفلاطون وأرسطو ، الذين تكلموا فيما اصطلحوا عليه كلمة المذهب الواقعي .

والمذهب الواقعي هو الذي يقول في الكلام على نظرية المعرفة :

إن الكليات لها وجود خارجي يستخلص من هذا الوجود الخارجي حقائق ثابتة هي أساس المعرفة والآخرون من الفلاسفة الذين يقولون بالمذهب العقلي الخيالي ويقولون :

إن المعاني الكلية لا وجود لها في الخارج إلا في الذهن كمعنى العلم والفضيلة والهداية وأضدادها وسمى الناس هذا بالمذهب العقلي ، وقد سار وراء هذا المذهب الرئيس ابن سينا ومن بعده ، هكذا استعمل الفلاسفة القدماء معنى الواقع عندهم حسب المجاز لديهم .

ثم جاء الفلاسفة المعاصرون من أهل الغرب مثل ديكارت، وأعادوا هذا المذهب إلى الظهور ، وسماهم الناس الوقعيين.

واصطلح المعاصرون على إطلاق الكلمة على ما صارت عليه الأوضاع اليوم وقالوا :

« الفلسفة الواقعية المادية هى كل ما يحس به ويشاهد من ثمار التجارب العلمية والصناعية الحديثة » .

وممن نحا هذا المنحى الأستاذ فتحي عثمان في كتابه «الدين للواقع» ، ومنهم الدكتور محمد البهي في كتابه «الفلسفات المعاصرة» .

(قلت) نستعين بكل ما ذكرنا على فهم معنى هذا البحث ، فلنبدأ الآن في صلب الموضوع فنقول :

يذهب الفلاسفة المعاصرون إلى أن واقع الحياة الاجتماعية نتجت عن تجارب علمية صارت قضية مسلمة لا ريب فيها لدى الصغار بله الكبار ، فصار أمرًا واقعيًّا لا خياليًّا ، فإن واقع الحياة في مجال الاقتصاد وواقع الحياة في الأيديولوجية وواقع الحياة الصناعية وواقع الحياة السياسية وواقع الحياة في المجالات الحضارية التي يعيش فيها العالم الإنساني قد بلغت شأوا بعيدًا مع الناس ، ولا تزال تخطو خطوات سريعة وثابة إلى الأمام .

فهل سار المسلمون مع هذا الواقع ؟ الجواب لا .

وإذا لم يسر المسلمون مع هذا الواقع ، فهل ما كانوا عليه هو حقيقة الإسلام وهي التي حرمت عليهم السير في موكب واقع الحياة هذه ؟ الجواب لا .

إذا كان الأمر كذلك فكيف يلحق المسلمون الركب ويسيرون مع الزمن ويواكبون المجتمع البشري الحضاري ليطابق الحقيقة الإسلامية .

* * *

من أين نبدأ ؟

وإذا اتفقنا على ضرورة تغيير الواقع الحضاري للمسلمين فمن أين نبدأ ؟

ومن هنا بدأ بعض المسلمين يدعون إلى إخضاع الدين للواقع ، وبعضهم يدعون إلى إخضاع الواقع للدين .

وإذا لم نتفق على تغيير الواقع الحضاري ليطابق الحقيقة الإسلامية ، فهل يعيش المسلمون بمعزل عن الحياة ؟ فتكون الحضارة في واد ويكون الإسلام في واد آخر ويعيش المسلمون عالة على الناس في الدنيا لكي يقال لهم إنما الحياة الدنيا للذين كفروا والحياة الآخرة للذين آمنوا ، ولم يذهب المسلمون توا إلى الآخرة التي زعموا أنها لهم فيتركوا الدنيا التي زعموا أنها للكفار .

وإذا اتفقنا على ضرورة تغيير الواقع السقيم إلى الواقع السليم فمن أين نبدأ ؟

يقول الشيخ البرمكي :

(إننا نشتاق كثيراً إلى السعادة ولكننا لا نعرف كيف السبيل إليها .

طلبنا السعادة في المال فما وجدنا وفي الحياة فما استفدنا وفي الفقر فما استرحنا ، وإذا طلبنا السعادة وأردنا أن نعيش سعداء نفرت منا واحتجبت عنا ، وأصبح من المستحيل أن نتمتع بالحياة الحقيقية والسعادة المرغوبة في هذه الدنيا رغم العوارض التي تعترضنا ، فلابد من الوصول إلى أوهام السعادة وإذا لم نعثر عليها فلنطلبها في الخيال الوهمي ، لنطلبها في الأصل الفسيح الذي نبتهج به ويسطع لمعانه على نفوسنا فيبدد ديجور ظلامها الحالك).

أقول : إن المريض الذي ينكر مرضه ويتظاهر للناس بأنه صحيح سليم معافى فليس له من يدعوه إلى التعالج أو إلى مشاورة الطبيب .

أما المريض الذي اعترف بمرضه سواء عرف اسم المرض ووصفه أم لم يعرفه فإنه يقبل التعالج ويعمل بنصيحة الطبيب.

إن من بين المسلمين اليوم من يعرف أنه مريض ولكنه يتظاهر بالسلامة والصحة ، وبينهم اليوم من لا يعرف أنه مريض ، فصعب الأمر على من يخبره بأنه مريض ، وبينهم من يعترف بمرضه ولكنه يتحير في التعالج فمن أين نبدأ ؟

* * *

الأمراض الاجتماعية

والجدير بالبيان أننا إذا طلبنا من المسلمين تغيير واقعهم من حالة إلى أخرى ليطابق الدين والحياة الشريفة دون الحياة السخيفة وأن نكون المثل الأعلى للناس في الدين والحياة وفي حقيقة الإسلام ، يجب أن نذكر أنه ليس كل واقع يكون سليمًا صالحًا إثباته للمجتمع ، بل من الواقع ما هو مرض فتّاك وسم زعُاف كانتشار الزنا وفشو الفساد وشرب الخمر وبيع المخدرات وضياع الأمانة والعدالة مما جاءت رسل الله لمحاربتها ، لأن حقيقة الإسلام يحاربها في الدين والحياة وإذا نحن أردنا هذا الإصلاح فمن أين نبدأ ؟

* * *

أفعال العباد بين القضاء والقدر

ندخل في هذا البحث من باب (أفعال العباد) هل تنسب إلى الله مباشرة وأن العباد ليسوا فيها سوى آلة فيكون العباد فيها مجبورين لا مختارين فيضيع الثواب على الخيرات ؟

أم هل تنسب إلى العبد لذلك يجازى على الإحسان إحسانًا؟

ومن ثَمَّ ننظر إلى معنى القضاء والقدر .

وقد أوجب الله على لسان رسوله أنه يجب الإيمان بالقضاء والقدر وأنهما من الله تعالى .

وقال بعض العلماء ليس القضاء والقدر شيئًا واحدًا وإنما أخطأ الناس في اعتبارهما واحدًا وقال :

القضاء : إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه الآن من الشكل والصورة .

والقدر : إيجاد الأشياء في الأزل على قدر مخصوص كل عام .

وإذا سأل سائل أنه لما كان الإيمان بالقضاء والقدر واجبًا فكيف نجمع بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين كراهية الله المعاصي أن تقع ؟

ويجيب اللقاني على هذا السؤال بقوله في جوهرة التوحيد :

وقـــــــدرة إرادة وغـــــــايرت

أمرا ونـــــهيا والرضـــا كمـــا ثبـــت

وقد أوضح شراح الكتاب معنى ذلك وقالوا :

أولاً : قد يريد الله الشيء ويأمر به كإيمان الأنبياء والمؤمنين.

ثانيًا : قد يريد الله الشيء وينهى عنه مثل تمرد إبليس على آدم أمره الله أن يسجد ولم يسجد .

ثالثًا : قد لا يريد الله الشيء ويأمر به مثل إيمان الكفار .

رابعًا: قد لا يريد الله الشيء ولا يأمر به ككفر الأنبياء والأولياء.

والأقدار المحيطة بالإنسان على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما لا يستطيع الإنسان دفعه كالهِرَمِ والموت .

النوع الثاني : ما يستطيع الإنسان أن يقاومه ويقف معارضًا لـه كمن يدعو الله أن يدفع عنه المصائب بالدعاء والحمية .

النوع الثالث : ما جعل الله في وسع الإنسان أن يقاومه ويجاريه ولو بأي وسيلة أو حيلة مستحبة لا محرمة أو ممنوعة.

وكل ذلك من أفعـال العبـاد الـتي تنسـب إلى الله حقيقـة وإلى عباد الله مجازا تحت قانون السببية حسب ما يأتي فيما يلي .

وإذا اتفقنا أن بيدنا تغيير أمرنا من الواقـع الخبيـث إلى الواقـع الطيب فمن أين نبدأ ؟

* * *

من هنا نبدأ

إذا أردنا تغيير الوضع الراهن الذي عليه المسلمون اليوم ، أو أردنا أن نجعل الواقع يطابق الحقيقة الإسلامية فلابد لنا من إصلاح أنفسنا نحن الدعاة إلى الله فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، وعلى هذا الأساس كان يقول فقيه مصر الإمام الليث بن سعد لهارون الرشيد (من رأس العين يأتي الكدر فإن صفا رأس العين صفت السواقي) .

ويقول أحد الناصحين وهو ينصح العلماء :

يا علماء الدين يا ملح البلد

ما يصلح الملح إذا الملح فسد

أجل ، منذ عصر التابعين بالقرن الأول الهجري انقسم العلماء إلى فريقين :

فريق انحازوا إلى موكب الخلفاء فقبلوا منهم الوظيفة والقضاء ، فسموا علماء الدولة الذين هم لسان حال الحكومة ، منهم :

القاضي يوسف صاحب أبي حنيفة ولم يكن يترك النصح للخليفة ، من ذلك ما كتبه لهارون الرشيد في رسالة سماها كتاب الخراج .

وكذلك الحسن البصري من أكابر التابعين ومن آثار نصحه لأمير المؤمنين هارون الرشيد وصية الإمام العادل .

وفريق ثان استقلوا عن الدولة وامتنعوا عن أن يقبلوا الوظيفة ، منهم سعيد بن المسيب وأبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وعمرو بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم الذين عرفوا بعلماء الدعوة .

وهؤلاء الذين يشير إليهم الأثر القائل : (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) والعلماء ورثة الأنبياء لما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢) .

لقد قسمت الآية العلماء الذين ورثوا الأنبياء إلى ثلاثة أقسام:

١- العلماء الظالمون لأنفسهم .

٢- العلماء المقتصدون في الخير والشر .

٣- العلماء السابقون بالخيرات .

ومن السابقين بالخيرات العلماء الذين يواجهون الخلفاء بصراحة النصح ، حتى كان الخلفاء من بني أمية وبني العباس يخشون من العلماء الدعاة كخشيتهم الله أو أشد خشية ، لأن الجمهور وراءهم يسمعون لهم ويطيعونهم أكثر من طاعتهم

للخلفاء ، لذلك يحتالون عليهم أن يقبلوا وظائف الدولة فيمتنع العلماء .

فالخلفاء الأمويون قطعوا طريق العلماء الوعاظ بالأموال وصرفوا قلوبهم وحولوا شطرها نحو القصص والأخبار ، فكثر القصاصون لإشغال الناس بهذه القصص عن حقائق الأوضاع وعن الوعظ والإرشاد الذي يقرع أسماعهم ويخفف شأنهم لدى العوام ، وقربوا الشعراء إلى بلاطهم فظهر الأدب العربي في الذروة فظهر جرير والفرزدق والأخطل .

وجاء الخلفاء العباسيون واستعانوا بعلماء الفرس وأدباء الهند ، فأيدوا الفلاسفة وأغدقوا عليهم الرزق وشغلوا قلوبهم بالفلسفة اليونانية .

واليوم نجد في العالم الإسلامي هذين الفريقين من العلماء على شكل جديد .

فريق يكونون لسان حال الحكومة يطبلون ويزمرون وينقرون لها على منابر الجمعة ، يدافعون عنها ويشيدون بإنجازاتها ويكيلون الدعاء لها جزافًا بلا قيد ولا شرط .

وهؤلاء العلماء ، منهم خطباء المنابر وشعراء المحافل يفعلون كما تفعل الجرائد اليومية التي تملكها حكومة كل بلد من بلدان العالم اليوم .

وفريق آخر من العلماء يكونون لسان حال الأمة ينتقدون تصرفات الحكومة ويسدون لها النصح والإرشاد ولا ينخدعون بالمناصب ولا بهدايا الحكومة وهباتها ، بل يردونها لأنها في أعينهم مجموعة من الحرام ومن دماء الأمة الفقراء الممتصة لا تحسن الحكومة توزيعها بين المستوجبين لها .

بل يضعون العدل في محل الإحسان ويحسبون الإحسان عدلاً والعدل إحسانًا .

وهذا الفريق الثاني يعملون كأصحاب الجرائد اليومية التي تملكها الأحرار ، وهي لسان حال الأمة تبث شكواها للناس وتكشف أسرار الحكومة وتهتك أستارها فتضايقها الحكومة وتحاربها .

* * *

obeikandl.com

من هنا نعلم أو من أين نعلم ؟

العلم عماد الإسلام ولا يقوم الإسلام إلا على أعمدة العلم ، لذلك كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحقيقة الإسلام في نشر العلم وتعليم الناس من العلماء وفي الإقبال على حب العلم وتعظيمه وتعظيم أهله من المتعلمين حقيقة قديمة ثابتة بالإسلام ولازمة له .

ولكن واقع المسلمين لا يطابق تمام المطابقة ما يريد منهم الإسلام .

إما من ناحية الفهم الخاطئ لمعنى العلم كفهم بعضهم أن المراد بالعلم فقط هو علم الأديان لا غير .

وإما من ناحية العلم الناقص الذي هو الجهل المركب الذي تركب من جهلين وهو دون الجهل البسيط الذي يرتفع بأدنى إشارة أو تعليم .

ولقد وردت آيات كثيرة وأحاديث عديدة في فضل العلم وأهله بما لا يحتاج إلى إعادته وتكراره ، وإنما المقصود الآن هو إلفات أنظار القراء إلى واقع الحياة وواقع المسلمين في مجال التعليم

ولقد كانت المساجد معاهد العلوم والمعارف والفنون ، ثم أضيفت إليها المدارس بعد إنشاءها في النظامية وغيرها .

ثم أنشئت المدارس والجامعات الحديثة في أوربا قدوة بالجوامع والمدارس في البلدان الإسلامية بأفريقيا وآسيا ، فبدأت تعمل وتعطي ثمارها حسب جهود أهلها وعلماءها .

يقول ماكس نوردو الألماني :

(إنما تشاد المعاهد والمدارس للأوساط والأنداد أما رجال العبقرية فإنهم عصاميون) يعني أن نظام المدارس والمعاهد والجامعات نظام مقيد في حدود ضيقة يتقيد بها الطالب ولا يتعداها ثم بعد ذلك نجد من الطلبة من لا يستوعبها ولا يستوفيها لضعف ذاكرته وحافظته فهو يضيق ذرعًا بكثرة المناهج والمواد فيهرب من المدرسة .

أما رجال العبقرية فإنهم أيضًا يضيقون ذرعًا بنظام المدارس والمعاهد والجامعات لا لكثرتها ولا لتعدادها وإنما لعدم كفايتهم بما فيها فإنهم ينظرون إلى أبعد مدى من آماد الجامعات ، ويطمح العبقري إلى ما وراء المناهج والمواد المحددة له بعد استيعابه جميع ما حدد له ، فيخرج من المدرسة أو من المعهد أو من الجامعة ليصنع نفسه بنفسه كيف أرادت نفسه ، لأن السير والنظر في مراحل التعليم كالسير والنظر في مراحل الترحيل .

من الناس من ينظرون ببصرهم أو ببصيرتهم إلى البعيد ولا يبالون بالقريب ، ومنهم من ينظرون إلى القريب وينسون البعيد نسيانا كاملا .

ولكن العاقل الألمعي هو من إذا سار نظر أمامه وحواليه ، ثم نظر المكان الذي يضع فيه قدميه وهو إن لم يفعل زلت قدمه إلى الحضيض ووقع في حفرة .

لذلك يقال إن العباقرة يسبقون زمانهم ولكنهم كثيراً ما ينزلون إلى مستوى أصحابهم في زمانهم ليخاطبوهم بقدر عقولهم .

يجب أن نعلم أنه قد أتى الزمن الذي ينطبق عليه المثل القائل : «عش لتعيش ولا تعش للعيش» ثم انقضى إلى غير رجعة زمن حب العلم للعلم ذاته وصرنا في زمن نتعلم لنعيش ، فيجب أن نعرف كيف نتعلم لنعيش لينطبق علينا تعلم لتعيش ولا تعش لتتعلم .

وعلى هذا الأساس قامت فكرة إنشاء المدارس والمعاهد منذ بداية القرن العشرين الحالي وسوف يستمر حتى القرن الحادي والعشرين الآتي .

ويقول الأمير بقطر أستاذ التربية بالجامعة الأميريكية بالقاهرة[1]:

---

(١) نتعلم لنعيش ص ١٦٨

(إن معاهد العلم ينبغي أن تشاد على أساس حاجات البلاد لابد أن نجمع الأرقام الإحصائية الوثيقة لها قبل تشييد المعاهد) .

وقال في مكان آخر عن المنهج[1] :

(من اتساع المعارف في كل علم وفن أصبحت الحقائق التي يجد بالطالب معرفتها اليوم غيرها منذ ستين عامًا بل غيرها منذ عشرين عامًا بل منذ عشرة أعوام) .

فإن الحقائق والمعلومات تتراكم بعضها فوق بعض وتزداد يومًا فيومًا بسرعة البرق ، اهـ .

قلت : إذا كان التعليم في مصر عرضة للانتقاد اللاذع في مثل ذلك الوقت ، فما ظنك بالتعليم في غير مصر عن البلاد العربية والبلاد الأفريقية الأخرى .

وإذا كان واقع التعليم العام كهذا فكيف واقع التعليم الديني الذي صرنا بأشد الحاجة إليه اليوم في نيجيريا .

أما عن الجامعات والمعاهد العالية فقد أشار الأستاذ الدكتور عثمان أمين إلى الأوضاع الراهنة التي عليها الجامعات في جمهورية مصر العربية بأوائل الخمسينيات في مذكرة صغيرة سماها «نحو جامعة أفضل» تحت عنوان «مهمة الجامعات الحديثة» وقال :

---

(١) نتعلم لنعيش ، ص ٨٠

(اختلفت الآراء في مهمة الجامعات الحديثة ولكننا نستطيع أن نقول إن من فكروا في هذا الأمر فريقان :

أحدهما : يرى أن مهمة الجامعة هي العمل على تقدم المعرفة ونشر الثقافة العامة .

وثانيهما : يرى أن الغرض من التعليم الجامعي هو خلق صفوة مختارة من ذوي المواهب والكفايات وإعدادها لقيادة أمتها قيادة مادية وروحية) .

(قلت) يظهر أن من مهمات الجامعات الحديثة تعليم الدين والأخلاق ، ولكن الجامعات اليوم أكثر اهتمامًا بالجانب المادي غير مكترث بالجانب الروحي ، فلزم قادة الأمة أن يقوموا بسد هذا الفراغ .

لتتعاون الجامعات بأمثال جامعة الأزهر وجامعة الزيتونة والقرويين وقد قامت هذه الجامعات الدولية بمهماتها منذ قرون.

غير أن طلاب هذه الجامعات اليوم لم يعرفوا الهدف من تلك الجامعات ، بل انتسبوا إليها كسائر الجامعات الأخرى فظلوا يطالبون بتسويتهم مع غيرهم في سائر المجالات ، هذا شيء جميل وحسن ولكن المأسوف عليه أن لا يعرف طلاب هذه الجامعات الدينية رسالة جامعتهم وأرادوا أن يخلعوا عن أنفسهم مسؤولية نشر الدين والأخلاق إلى جانب نشر العلم والثقافة .

* * *

المثل الأعلى

قال تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النحل: ٦٠).

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١) .

وربما قال قائل : إن رسل الله خلقوا خلقة خاصة ولهم طبيعة خاصة لا يمكن لكل إنسان أن يقتدى بهم تمامًا .

وهذا ليس بصحيح فإن الله تعالى أوجد في الرعيل الأول من المسلمين كما أوجد في كل زمان ومكان عددًا من الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين من جعلوا رسول الله أسوتهم فكانوا المثل الأعلى في تطبيق تعاليم الإسلام .

وهكذا يريد الله من كل مسلم أن يكون وكذا يريد الله منه أن يعمل في مجال الأخلاق وفي مجال الأعمال وفي الآمال والآلام وفي الإخاء وفي الحرب والسلم وفي نشر التعليم .

وحقيقة المثل الأعلى كما شرحه علماء الأخلاق . يقول الدكتور أحمد أمين[1] :

(المثل الأعلى هو الذي يميز الإنسان عن غيره من الحيوان ، فإننا نرى الحيوانات تعيش على نمط واحد منذ خلقت ليست في رقي مستمر ، فمعيشة القط قديمًا هي معيشة القط اليوم وهكذا الكلب وسائر الحيوانات .

أما الإنسان فهو دائم الرقي لأن أمامه المثل الأعلى ، فيجب أن يكون لكل إنسان مثل أعلى يسعى لتحقيقه .

ويختلف المثل الأعلى عند الناس اختلافًا يكاد يكون بتعدد رؤوسهم .

هذا مثله الأعلى في رجل غني يتمتع بملذات الحياة .

وهذا مثله الأعلى في رجل محارب ، وهذا وهذا وهذا .

وصدق الله القائل :

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ .

* * *

(١) علم الأخلاق ، ص٨٧ .

من هنا نعمل

على كل عالم وداعية أن يتخذ من الأنبياء والرسل ومن النبي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين مثله الأعلى .

وإن لم يستطع فليتخذ من الصحابة مثله الأعلى .

وإن لم يستطع فليتخذ من التابعين والأئمة المجتهدين مثله الأعلى .

إن مما يجعل واقع المسلمين مطابقًا لحقيقة الإسلام طلب العلم ونشره ، ولا تعوز كل أحد آيات الحث على طلب العلم وأحاديثه كما لا يعوز أمثلة الذين طلبوا العلم ونشره تعليما وتأليفًا .

على أن نشر العلم واجب لأن العالم إذا لم ينشر علمه حتى مات يدفن بدفنه كثير من جهوده وحصيلاته فتكون حسرة وندامة عليه يوم الجزاء .

وعن أبي هريرة قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٥٩، ١٦٠).

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق .

وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم .

(وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله يشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون) .

قلت : يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه قال أبسط رداءك فبسطته قال فغرف بيديه ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيئًا بعده) رواه البخاري .

وينسب إلى الإمام الشافعي قوله : « وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونني » .

وفي رواية للربيع قال : « وددت لو أن الخلق تعلموا ما جمعت من الكتب ولا ينسب إليَّ منه شيء » .

ثم إن من واجب العلماء أن ينشروا العلم على العام والخاص ولا يخصوا قومًا دون قوم في التعليم .

وقد قال الإمام مالك :

« إن العلم إذا حرم العامة من أجل الخاصة لم ينتفع به الخاصة » أو كما قال على الداعية أن يستعمل الحكمة والموعظة

الحسنة مع الملوك والأمراء لا يستحذى ولا يستجدى ولا ينزو ولا يلين .

وإذا استطاع أن يرفع للعمل تحت إدارة حكومية فعل ، وإذا علم أن العمل والوظيفة عند الحكومة تساعد على البلاغ فعل ، فإن النبي يوسف عليه السلام قبل الوظيفة من فرعون حتى يتمكن من تبليغ رسالته فمكنه الله من ذلك كله .

فليتجنب الداعية اللهجات الشديدة والشتائم المريرة والاعتراضات الفارغة على رؤساء الدولة من ملوك وزعماء وأثرياء الزمان .

فإن الدعوة إلى الله يجب أن تكون خالصة لوجه الله لا لنيل الشهرة والسمعة والرياء ومن فعل ذلك وتعرض للحبس والسجن أو القتل فلا يلومن إلا نفسه .

وليس ذلك من باب الشهادة في سبيل الله إنما الشهادة في سبيل الله لمن مات وهو يدعو إلى الله دعوة سلمية من رجل أعزل لا دعوة عنيفة من رجل مسلح يقابل دولة أو حكومة كاملة الأسلحة بالجنود والعتاد .

* * *

من هو مثلك الأعلى

يشب الطفل في حجر والديه من أمه وأبيه فلا يجد أحدًا فوقهما من الناس ، بل إذا رأى مخوفا أو مهيبًا اشتكى والتجأ إلى أحد والديه فيكونان لديه مكان المثل الأعلى في خلقهما وفي سيرتهما .

وإذا كبر الطفل وشب وعقل ما يحيط به من أناس وأشخاص انتقل يطمح ببصره إلى ما فوق والديه ليتخذ منه المثل الأعلى بعد والديه .

وإذا دخل المدرسة وسمع بأخبار الملوك أو قرأ أخبار الأبطال والعباقرة انتقل بكليته إلى واحد منهم يحبه ويؤثره على غيره وجعله مثله الأعلى .

فالداعية يطلب مثله الأعلى من الدعاة .

والجندي يطلب مثله الأعلى من القادة الذين قادوا أمتهم في الحروب حتى النصر ، وهكذا نجد في قلب كل إنسان مثله الأعلى يحتذيه .

غير أن طلاب العلم في دنيانا الحاضرة لا يتفكرون مطلقًا في المثل الأعلى .

كثيراً ما يستقبلني عشرات من أبناء نيجيريا ومن الأقطار المجاورة الذين وفدوا إلى مصر العربية للتعليم في الأزهر أو في وزارة التربية والتعليم أو في معاهد أخرى في مصر وفي غيرها من البلدان العربية كالسعودية والعراق وليبيا والمغرب .

فأتأملهم واحداً بعد واحد وقلبي يخالبني بعدة أسئلة فأحاول الإجابة عليها فأجيب أو أضطر إلى سؤال الطلبة واحداً بعد واحد.

لماذا اخترت تعلم اللغة العربية ولماذا جئت إلى هنا لتتعلم ؟

فلا يجد جواباً سريعًا لسؤالي ولكن بعد تكرار السؤال وتصويب التفكير يجيب الطالب أنه يحب اللغة العربية لخدمة الإسلام ، وأنه جاء إلى هنا لحصوله على المنحة الدراسية لأن والديه لا يملكان مؤونة التعليم في بلاده أو لأن والده مات وتركه يتيما وجواب الكثيرين مثل هذا الجواب .

وإذا قفوت ذلك بسؤال ثان وقلت : بماذا تشكر الأزهر أو المعهد أو الجامعة على هذه المنحة إذا تخرجت ورجعت لبلادك .

أجاب بعد حوار طويل أن ليس له ما يشكر به سوى أن الله يشكر الأزهر أو المعهد أو الجامعة على حسن صنيعه في نشر الثقافة الإسلامية .

هذا هو واقع المسلمين في مجال طلب العلم ونشره بين الأمم.
فيجب تغيير هذا الواقع إلى ما يطابق تعاليم الإسلام .

بل يجب على الطلاب الذين يتعلمون على المنح أن يدركوا أن مسؤولية تعليمهم لا تقع على غير والديهم ولا على غير حكومة بلادهم .

وإذا تعلموا في غير بلادهم على المنحة التي ليست واجبة على تلك البلاد فلا ينبغي أن يدخلوا في الإضرابات والمشاغبات التي يقوم بها أبناء تلك البلاد فإنهم أجانب ، فإنما تصدقوا عليهم بالمنح فليس لهم أن ينازعوا ويحتجوا بشيء سوى الرضى والشكر لمن أسدى إليهم معروفًا .

قال رسول الله : « إن الرجل إذا دخل بيته وأكل طعامه وشرب شرابه دعى له» وكان يدعو للضيف إذا أكل الطعام .

« أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة» .

وحديث آخر يقول : « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه وإن لم تجدوا فادعوا له وإذا قال المسلم لأخيه جزاك الله خيرًا فقد بالغ في الثناء» .

قلت : إذا كان هذا كله مقابل أكلة واحدة في مرة واحدة فماذا يكون جزاء الأكلات التي لقمت في أيام وشهور وأعوام مضافًا إليها دروسًا وكتبا وعلوما وثقافة ؟

أقول : هذا كله لما لاحظت في بعض الأحايين من قيام بعض طلبة أفريقيا بالاحتجاجات والمشاغبات والتنازعات مع المسؤولين في إدارة الأزهر وغيرها من إدارات الجامعات وقد نصحتهم مرارًا وتكرارًا شفاهيًّا وأسجل ذلك هنا كتابيًّا .

أما شكر الأزهر والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ووزارة الأوقاف ووزارة التربية وبعض الشخصيات الذين لهم الأيادي البيضاء في مساعدة طلاب العلم فأقل ما يجب على الطالب نحوهم أن يشيد بذكرهم وينوه بالثناء عليهم ويلهج بالدعاء لهم في الكتابة والخطابة وفي كل مجتمع .

ولا يحسب أن لا شكر على الواجب فكم من لا يعرف الواجب حتى يقوم به ، وكم من عرف الواجب ولم يقم به ، وليس من عرفان الجميل أن نجعل الناس في ذلك سواء .

يقول القرآن :

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية: ٢١) .

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

إلى هنا تم الكتاب وبالله التوفيق .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول	
توجيه سيرة الدعوة	
(٣-٤٠)	
الدين عند اليهود	١٣
معنى الدين عند النصارى	١٥
معنى الدين عند فلاسفة الأديان	١٥
العقل والوحي والنبوة والأنبياء	١٨
النبي والأنبياء	٢٥
نبوة النساء	٢٨
عدد الأنبياء	٢٩
إغلاق باب الوحي وختم النبوة	٣٠
مدعو النبوة	٣٣
نسخ الأديان السماوية السابقة وأشباهها بالإسلام	٣٤
أشباه الأديان السماوية	٣٦
ميادين الدعوة وجبهات المدعوين	٣٨
الفصل الثاني	
الإسلام وتحديات القرن الحادي	
والعشرين الميلادي الخامس عشر الهجري	
(٤١-٧٢)	
خصائص القرن العشرين الميلادي	٤٥
بين الإيمان والإلحاد	٤٧

obeikandl.com

العلم والعلماء في الإسلام..... ٤٩
العالم بين منطق القوة ومنطق البرهان والعدالة..... ٥١
من مخلفات القرن العشرين..... ٥٣
الشخصية العربية لا شرقية ولا غربية ولا في العالم الثالث..... ٥٦
هل الاستعمار الغربي من موانع تقدم العرب اليوم ! ؟..... ٥٨
نيجيريا في مفترق الطرق..... ٦٠
حداثة نيجيريا وطفولتها في القرن العشرين..... ٦٢
عمر الدنيا وفناؤها..... ٦٥
حديث الشوكة..... ٦٨

الفصل الثالث

الإسلام بين الحقيقة والواقع

(١١٠-٧٣)

مقدمة..... ٧٥
تصدير..... ٧٩
بين الحقيقة والواقع..... ٨٣
من أين نبدأ ؟..... ٨٨
الأمراض الاجتماعية..... ٩٠
أفعال العباد بين القضاء والقدر..... ٩١
من هنا نبدأ..... ٩٣
من هنا نعلم أو من أين نعلم ؟..... ٩٧
المثل الأعلى..... ١٠٢
من هنا نعمل..... ١٠٤
من هو مثلك الأعلى..... ١٠٧
الفهرس..... ١١١

obeikandl.com